

الإقتصاد التضامنى- الإجتماعى : نموذج زاوية الهامل ومعهدا²⁴

محمد الرعوف قاسمى الحسنى،

أستاذ محاضر قسم الاجتماع، جامعة الجزائر 02،

أستاذ باحث مشارك، مركز بحث في الاقتصاد التطبيقي من أجل

التنمية CREAD

مقدمة :

طورت الدراسات النظرية الغربية ميادين الاقتصاد التضامني الاجتماعي وثبتت مبادئه في تحقيق الخدمة والنفع العام واصبح تعرف تسميته "بالاقتصاد الثالث"، يتحدد مبداه على العمل التطوعي الخيري. سبق لهذا التنظيم أن توافرت شروط التعامل به وفق خصوصيات تنظم مؤسسات الزوايا في الجزائر .

يبقى إسقاط دراسة نموذج الاقتصاد التضامني، و معرفة استقلالية مؤسسة الزاوية مجالا خصبا للبحث ،خاصة منها ما يرتبط بقواعد وطرق

²⁴ تقع بلدة الهامل إلى الجنوب من مدينة بوسعادة، على المرتفعات المتاخمة لأولاد نايل. تحيط بها من كل الجهات جبال تشكل ما يشبه الحصن وهو موقع إستراتيجي مظل على جهات كثيرة. ويجري أسفلها واد كثير الينابيع، عذب الماء، وعلى ضفافه بساتين صغيرة، فيها من شتى أنواع الثمار المعروفة بالمنطقة. ينبع وادي الهامل من كهف الطيور غرب الهامل. بموازة طريق الجلفة. ويصب بمعذر بوسعادة. أما المساحات الخاصة لأراضي الفلاحية خارج محيط السقي، فلا تقي بحاجة السكان. إلا الرعى...

تنظيمها واستعمالات مصادر ثروتها - المؤسسة على قيم دينية- في تسيير شؤون متطلبات الحياة الاقتصادية القائمة على التعاون والتكافل الاجتماعي.

أهمية الرجوع إلى ذاكرة المجتمع في قياساتها المتراكمة عبر تعاقب الأحداث ، تمثل سجلات جماعية مندمجة في تفاعلاتها التاريخية والاجتماعية والجغرافية والسياسية ، وكل ما صلة له بشق الواقعة الشاهدة والحامية لتاريخ التراث الثقافي؛ ومنهم بعض مشايخ الزاوية وأولياء الصالحين الذين استقروا واستوطنوا، وثبتوا وعمره وأهلوا 'المداشر' والقرى ، وانتشر نفوذهم ، وزاد من قيمة رمزيهم الاجتماعية وصولاً إلى المناطق الحضرية.

كما أنها محاولة قراءة أحد التشكيلات الرمزية والثقافية التي حددتها، وقام بها شيوخ مؤسسة الزاوية. رغم تعرض عوامل الصراع ضد الزوايا، وأخذت الحرب عليها صوراً متنوعة، وكان الهدف هو النيل من مصداقيتها، والتقليل من أهمية دورها وإثارة الشكوك في تاريخ رجالها.....أساء إليها المعادون لرسالتها ، والمخالفون لمنهجها ، كما أساء إليها المنتسبين إليها ، بانحرافهم عن سبيلها ، وابتعادهم عن هديها".²⁵

يصب اتجاه الدراسة في بنية وتحليل نموذج مؤسسة زاوية الهامل من الفترة التأسيسية المتزامنة مع فترة الانقراضات الشعبية، والضغوطات

²⁵محمد المأمون القاسمي الحسني : خادم العلم الشريف في المقام القاسمي ، شيخ زاوية الهامل ، تأملات في رسالة الزوايا محاضرة غير منشورة .

المفروضة عليها في عهد الاستعمار الفرنسي . إضافة إلى ظروف التأسيس، ما هي إمكانيات وقدرات أولياء أمور الزاوية في المحافظة عليها منذ التأسيس -وفي خضم وتصدي صراعات الأحداث- وصولا إلى الحالة الراهنة؟.

كيف وصلت زاوية الهامل للظهور وفي دشرة صغيرة منعزلة ، وأن ترتقي إلى مستوى مؤسسة علمية ؟ . ما هي المحددات والدوافع التي قادت شيوخ الزاوية مع مجريات الأحداث وتحولات المجتمع ؟ ما هي الطرق المنتهجة في مسيرتها للأحداث التاريخية المتعاقبة، وأن تكون قطبا علميا مؤثرا، داخل وخارج المحيط الإقليمي؟

ما هي القوة الاقتصادية التي خصصتها الزاوية في عملية التنمية المحلية ونوع مصادرها الوقفية القائمة على الفعل التضامني الاجتماعي؟ وطرق الترشيد العقلاني للإمكانيات المادية؟

أحاول في هذه الدراسة -كما سبقت الإشارة- أن لا تبقى الزاوية محصورة في إطارها التقليدي المعروف في العلاقة التي تربط عملية الانتماء بين الموردين والأتباع ويكون الربط هنا أكثر وضوحا في تحديد علاقة الجانب الروحي والمادي معا ،ويكمن ذلك في تفسير العلاقات المادية للزاوية و معرفة الطرق التي حددتها وتكاملت لها الأهداف .

سبق للمؤسسات التقليدية في الجزائر أن انفردت فيها الزوايا بتسيير شؤونها قبل -وبعد فترة العثمانيين وقامت بدور مهم مسّ جوانب طرق الحياة الاقتصادية والاجتماعية والثقافية والروحية،وهذا ما يجعل فهمنا

لواقع المجتمع الجزائري آنذاك يرتبط في جوانب مهمة لبيئة ونشاط دور الزوايا كمراكز توعية وتوجيه وتربية ، قادرة على تأطير المجتمع والتأثير فيه ثقافيا وروحيا وتوجيهه اجتماعيا واقتصاديا²⁶.

تمكن أشرف بلدة الهامل في أواخر العهد العثماني أن يعفو من الضرائب كما جاء في أمر الباشا مصطفى من تحرير دفع الغرامة :

" الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم وبعد :فليعلم الواقف على هذا الأمر الكريم ، والخطاب الجسيم الناقد أمره العلي قدره من القواد والعمال والعام والخاص وجميع المتصرفين في جميع الأحوال خصوصا أهل ناحية بوسعادة أصلح الله حال الجميع ووفق الكل إلى صالح القول وحسن الصنيع ، فإننا أنعمنا على السادات الأجلاء الفضلاء الأشراف أولاد سيدي عبد الرحيم القاطنين بالهامل .ووجدنا على ما يؤديهم من مكاتبات سادتنا البايات التكاليف المخزنية والوقائف ، قلت أو جلت وأولاد أولادهم ما تناسلوا ، كما أن خماسهم لا يقر لهم أحد ولا يتعدى عليهم ، إنعاما تاما شاملا عاما حتى العشرات وجميع التبعات ، قاصدا بذلك وجه الله العظيم ورجاء ثوابه الجسيم ، والله الموفق للصواب واليه المرجع والمآب من بدل أو غير فالله حسبه وساتله ومولى أمره ، وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون ، والسلام " ، كتب عن إذن عبد الله المتوكل على الله السيد

²⁶ناصر الدين سعيدوني : مؤسسة الزوايا في الجزائر العثمانية (نموذج بلاد القبائل) بحوث المؤتمر الدولي حول العلم والمعرفة في العالم العثماني إعاد صالح سعداوي مركز الأبحاث للتاريخ والفنون والثقافة الإسلامية .استنبول 2000.ص.41.

مصطفى باشا بتاريخ صفر الخير سنة 1149 هـ على صاحبها أفضل الصلاة وأزكى السلام { 14 عن السلطانية.²⁷

ألغى هذا الأمر حين تمكن الفرنسيون من إحتلال الجزائر، حيث فرضوا الضريبة على أهل البلدة مثل باقي الجزائريين.

اختيار الموقع الجغرافي للزاوية:

لم يكن اختيار المكان الذي تمّ فيه تأسيس زاوية الهامل وليد الصدفة، فقد أقيمت على وادي بوسعادة، في منطقة قادرة على تأمين القوت لجماعة الطلاب، لم يكفّ عددهم عن الارتفاع من عام لآخر، فموقعها الجغرافي يسمح لها بالتزود بمواد منعدمة في المنطقة، كما أنّها توجد على الطريق الرابط بين بوسعادة والجلفة، وهذا ما يساعدها على أن تستقبل بسهولة وفود الزائرين من الشمال والجنوب أي من النّزل الجزائري ومن منطقة القبائل، وقسنطينة، إضافة إلى القوافل الصحراوية، كما أنّ موقعها يتميز بعزلة تامّة عن المخاطر الخارجية، والتي مصدرها البحر الأبيض المتوسط، أو التي تشكّلها الصراعات بين القبائل وهو ما ساعد الشيوخ المرابطين على التفرّغ للعبادة في سكينه واطمئنان.²⁸

²⁷ الحاج مزاري : الهامل مركز إشعاع ثقافي وقلعة للجهاد والثورة . دار الحكمة بدون تاريخ ص.19.18.

²⁸ Youssef NACIB, Culture oasiennes Bou-Saada: essai d'histoire sociale E.N.A.L. PUBLISHED 1986 Alger. Imp. en Belgique P.412/406.؛

تمركزت العائلات الأولى بدشرة الهامل قبل تأسيس الزاوية ،لم يتجاوز عدد ها أنذاك عن الأربعين ، اختارت الإقامة بالدشرة الغربية ، أسفل جبل عمران قرب الوادى وقرب ينابيع المياه. عرف السكان وثبة التطور، وجود الورشات،تزامنامع تأسيس الزاوية،كماتم تخطيط عمرانهاعلى شكل قصبية ،محاطة بالحصن .

تحولت القرية إلى ورشة مفتوحة للبناء والتعمير،وعرفت حركية جديدة للاستيطان السكاني ،وصاحبته تغيرات اقتصادية.خطط الشيخ المؤسس برامج عمرانية خاصة في ما يتعلق بالاستيطان والتثبيت السكاني.استفادت العائلات من مشاريع بناء المساكن ووقفها،إضافة إلى خدمات التعليم العامة وتطويرالنشاطات الحرفية ،وهي عمليات أثمرت نتائجها على المستوى المحلى .

تعرضت المنطقة إلى سلسلة من التغيرات ومع ظهور ممارسات جديدة منها التي ارتبطت بالتوطين العمراني -بعد إنشاء الزاوية-ترتب عن ذلك في ظهورخدمات اجتماعية متعددة،مست قطاعات الزراعة والري وحفر الآبار وبناء السدود واستصلاح الأراضي لزيادة مداخيل ثروة الزاوية ،تصب جميعها على تحديات التغيير ، باشرها الشيخ المؤسس واصبحت زاويته تمثل منظمة اجتماعية بالمفهوم المعاصر .

إضافة إلى الأدوار المعنوية التي قامت بها، أن قلصت من حدة التنافر والانغلاق الاجتماعي، وضبطت الروابط الاجتماعية بقواعد إلزامية، مما أدى ذلك إلى تكامل العلاقات الجوارية بين السكان.

تمكن أشرف الهامل بالاحتفاظ على ترابطهم وتجانسهم الثقافي من جانب، والتكيف مع الطلبة الوافدين الجدد من مناطق مختلفة، فاستطاعوا أن يظهروا المرونة معهم والتعرف على العادات والتقاليد الجديدة.

التنظيم الطريقي: الدور والمكانة

تعتبر الطرق الصوفية من أهم الظواهر التي ميزت الحياة الاجتماعية في العالم الإسلامي بصفة عامة والجزائر بصفة خاصة. و كل المعطيات التاريخية تبين أنها- حتى نهاية القرن 19م وبداية 20- كانت قوة بشرية واقتصادية جعلت منها أشبه شيء بالأحزاب السياسية المنظمة، لها زواياها وأتباعها، كما كانت تجمع الأعطيات وتقبض الزيارات والهدايا ، مما جعلها إلى حد ما تمثل دولة داخل دولة.²⁹

تطرقت الدراسات الغربية إلى تشخيص الطرق الصوفية ومعرفة أشكالها التنظيمية والوسائل الخاصة بتعبئة جمهورها من الأتباع والموردين .

²⁹التليلي العجيلي : النخبة والسلطة في العالم العربي خلال العصر الحديث والمعاصر. الجامعة التونسية. مركز الدراسات والأبحاث الاقتصادية والاجتماعية. العدد.5. تونس. 1992ص 195.

وبالتوازي، عرفت الكتابة التاريخية في بداية الاحتلال الفرنسي للجزائر مكانة مرموقة و اهتماما متزايدا و سخرت لها إمكانات هائلة لتحدي الحملات الاستعمارية الرامية إلي تشويه ماضي الجزائر، و قد ساعد عدد من الجزائريين في أعمالهم بالبحث عن ماضي الجزائر و تدوينه قصد الدفاع عن الوجود الوطني بدءا من جمع الإعلام ومشاهير الأمة³⁰.

لم يقتصر دورالصوفية ومناهضتها للإدارة الاستعمارية فحسب، بل قامت زاوية الهامل الرحمانية* على غرار الحركات الطرقية ومؤسساتها الشعبية الممثلة للإسلام في الجزائر بدور تعبوي اضافة الى التجنيد و التموين كما تشير اليه الدراسة لاحقا واستمرت إلى غداة الحرب العالمية الأولى مع ظهور الحركة الإصلاحية³¹.

³⁰: محمد الروؤف القاسمي الحسني تقديم بحث كتاب تعريف الخلف لرجال السلف ابو القاسم الحفناوي سلسلة اننيس طبع المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية رغاية 1991 أنظر:

.Octave De Pont et Xavier Coppolani :Les Confréries Religieuses Musulmanes. Alger.1897 / 4.

³¹انظر Merad Ali, Le Réformisme musulman en Algérie de 1925 à 1940, Essai d'histoire religieuse et sociale, El Hikma, 2^{ème} édition Alger, p. 58 – 59.

* الطريقة الرحمانية: هي طريقة دينية صوفية، نشأت في الجزائر في أواخر القرن 12 الهجري = 18 الميلادي، على يد مؤسسها الشيخ محمد بن عبد الرحمن الأزهرى (ومنه أخذت اسمها)، ففي سنة 1183 هـ. أسس الشيخ زاويته بقرية آيت إسماعيل ومنها انطلقت الطريقة الرحمانية التي كانت تسمى في البداية الطريقة الخلوتية، وهي طريقة تدعو إلى الصفاء والعودة إلى المنابع الأولى للإسلام.. أدت دورا هاما في الحفاظ على الشخصية العربية الإسلامية في الجزائر وفي مقاومة الاحتلال الفرنسي. أنظر عنها:

تتعدى دراسة الزاوية إلى رؤى وجوانب تحليلية عن ظروف التأسيس وطرق المعاملات والتبادلات، فهي تصبو إلى تعريف حقائق الصراعات التي واجهتها ليس فقط كنظام تعليمي، بل أنها تعددت في علاقاتها الديناميكية الاجتماعية السياسية وإلى ممارسة نشاطات متعددة خلال الحقبة الاستعمارية، وظهرت بصورة جلية في مشاركتها الانتفاضات الشعبية تعبئة وعدة .

الشيخ والمرید:

إن فهم المقدس ومكانته وما قام به في التاريخ الثقافي المغربي حيث يذكرنا جاك بارك في دراسته "من داخل المغرب" أن مكانة المقدس في تاريخ المغرب الإسلامي أن جمع لمدة طويلة السوري والملموس أكثر وأحسن من نمط آخر من أنماط الممارسة الاجتماعية، بحيث وإن هولم يشكل سوى وجهها من أوجه النظام المغربي، إلا أنه كان وجهها فاعلا ومفكرا ... من هنا بدا لنا عمليات إعادة الترتيب المتتالية للمقدس هي التي تحي وتحرك تاريخ المغرب من الداخل أكثر من الانقلابات السياسية...³²

دائرة المعارف الإسلامية، مادة رحمانية 10 / 533، تاريخ الجزائر العام للجيلالي 4 / 47، أرشيف مكتبة زاوية العامل. ...

*

³² J.BERQUE : L'INTÉRIEUR DU MAGHREB 14°-16°siècle GALLIMART .Paris 1978.p.541- 42.

إن تاريخ أي أمة وجدت لتكون ولتعيش وتنمو وتزدهر داخل إطارها الثقافي

والحضاري والتاريخي، ولن نستطيع بأي حال من الأحوال إخراجها عن هذه الأطر الثلاثة، فهي تعد جوهرية لأي مشروع تنمية وطفرة علمية أو نهضة اقتصادية متوازنة تحقق الرخاء وتقدم المجتمع.

على ضوء حقائق التاريخ الثقافي وسيرة الشيوخ أهل الطرق الصوفية وسلوك وحياة العلماء الذين تعاقبوا وقادوا مسيرة المجتمع والتزموا بالقيام بواجبهم واحترام الناس لهم لسلوكهم واتجاههم في الزهد والالتزام في التوجه للعبادة ، وكما يذكر ابن خلدون أهل التصوف: "بالعكوف على العبادة والانقطاع إلى الله تعالى، والإعراض عن زخرف الدنيا وزينتها .." التصوف يمثل في حد ذاته ثورة على ملذات الدنيا من جانب وقهر وتطويع النفس من جانب ثاني، وهناك سبب ثالث يتمثل في الفراغ الذي يسمح بالانعزال واتخاذ التصوف وسيلة لملا الفراغ وإيجاد الراحة النفسية والطمأنينة وبالتالي الابتعاد عن الأوضاع الاجتماعية المتدهورة وأن الفروق الفردية قد تقوم بدور هام في ذلك ،حيث نجد البعض يعتمدون على قلوبهم أو عواطفهم وأذواقهم، وليس على

عقولهم والصوفية من هذا النوع فهم على الذوق والكشف والإلهام.³³

إن الاهتمام بدراسة الطريقة لا يصب فقط على معرفة العلاقة التي تربط عملية الانتماء بين الموردين والأتباع الذين ينتمون إليها من المنظور الديني للجيش المنخرطة تحت لواءها ،يكن كذلك في العلاقات المادية التي تحدد التوجهات وتتكامل الأهداف .لقد تمكن بعض المشايخ بتلك الإمكانيات المقدمة لهم إن يحتلوا مراكز اجتماعية وحتى اقتصادية مرموقة ووصل منهم في نهاية القرن 19 من كبار الملاك العقاريين . وتوصل كل من 'كوبولاني واوكتار دييون' أن الطريقين يشكلون نظام المقاطعات أو الدويلات المستقلة عن بعضها البعض وبينما الشكل التنظيمي من حيث المكانة والدور بين الشيخ والأتباع .يصب الاتجاه في أن يكون رأس التنظيم فيه الشيخ ، فهو الزعيم الروحي ، رجل يحمل صفات العلم والخير والبركات وله المعرفة في تدبر أمور الشريعة³⁴ . وبعد الخليفة تأتي مرتبة المقدم المنفذ بتعاليم الشيخ وينكفلون بتعاليم شيخهم وهم أيضا مكلفون بأخبار الأتباع وبوصول الشيخ وتبليغ الأخوان بأخبار الشيخ كتابيا أو ينقل لهم الخبر شفويا³⁵ .

³³-مختار الطاهر فيلالي : نشأة المرابطين والطرق الصوفية وأثرهما في الجزائر خلال العهد العثماني .دار الفن القرافيكي للطباعة والنشر باتنة .ط.1...1976.ص15.

³⁴ Octave Depont –Exavier Coppolani : les confréries religieuses musulmanes en Algérie impr. Adolphe Jordan 1897 .p.193.

³⁵ Ibid .p.195

يبقى موضوع تعيين الخليفة من اختصاص الشيخ في حياته وغالبا ما يتم ذلك عن طريق الإجازة. التربية الموروثة في النظام الطرقي التي أشار إليها التحليل الانتروبولوجي للمدرسة الفرنسية بقي قائما في كثير من خصائصه ولازال المرید يتعامل ويكلم شيخه بصوت خافت قدوة بالصحابة وتعاملهم مع الرسول (صلع) فإذا أحب قلب المرید الشيخ فإن لسانه يجب أن تلفظ العبارات المناسبة بمقام الشيخ .يبقى الوكيل الذي يتكلف بتسيير الشؤون المالية وأملاك الزاوية ويتسنى كذلك نقتصد الشيخ وكما يقوم بدور الوسيط بين كافة المؤمنين وغيرهم كلنا تعلق الأمر بالجانب المالي ويقوم بدور أضيف في حراسة ضريح الولي وهو صاحب مكانة محترمة ،ويلي فيما بعد ه رتبة الخدم وهناك تصنيف آخر وهو النقيب الذي تتحدد وظيفته القيام بالصلاة .

* . العلاقة مع الشيخ الحداد: يقول يوسف نسيب : " كانت تربط الشيخ الحداد بزواية الهامل علاقات طيبة، تعاون ديني وتعاون سياسي" كما هو مبين في رسالة الشيخ الحداد، إضافة إلى العلاقات التي ربطته مع باق القيادات الدينية وزعماء الانتفاضات الشعبية منهم :
. العلاقة مع ثورة ابن شبيبة:
. علاقته مع الشيخ المختار : العلاقة مع بو عزيز الماضي:
. العلاقة مع السنوسية.

وحين أعلن الشيخ الحداد الثورة 1871 لم يقف الشيخ محمد على الحياض، بالرغم من أنه كان ³⁵متزوجا من ابنة المقراني. نجد أنه أنقذ المقرانيين بعد الانتفاضة ، وخصص لهم منازل خاصة بهم بزوايته. تولى تربية ابن الباش آغا المقراني، الذي درس بالزاوية وتولى مناصب هامة بها وكان من كبار مستشارين ابنته لآلة زينب. أنظر محمد العرف القاسمي الحسني: لآلة زينب: القيادة والتسيير لزاوية الهامل، الملتقى الوطني الثالث لغلم الاجتماع ،جانفي 2005 جامعة الجزائر .

ويرى 'سماتي محفوظ' من خلال هذه العلاقات المتداخلة أن نجد دور ومنصب المرابط في وظيفته العتيقة محددان بالضبط فهي تتلخص في الدين والثقافة وأعمال الخير التي تهدف إلى السلم الاجتماعي. فالمرابط هو قبل كل شيء من أولياء الله قبل أن ينتمي إلى أي طرف وحياده اتجاه الطائفة يجعل منه حكما لا ينكره احد وينظر إليه عادة على أن الرجل يقف مجرد اليدين من السلاح بين الصفيين المتحاربين.³⁶

يبقى تعامل القبيلة مع الشيخ تتحكم فيه عوامل الاصطفاء الرباني فيتجلى انه يحظ بالبركة وهي علامات الاصطفاء السماوي المعروفة لدى العامة. يبقى التوحيد والتنظيم الاجتماعي والاقتصادي يكمن في مفعول الخصال التي يشتهر بها الولي أن يكون مرنا في معاملته كما وضحاها 'ارنست كلينر': المسالمة والسخاء بلا حدود. إن امتلاك هاتين الصفتين هو بمثابة اختيار ويتعذر التحلي بهما في غياب مساندة رجال القبيلة. رغم الانتقادات التي وجهت للزاوية فهي لا تعارض القيم والمعايير فهي مطالبة بالتوفيق بين الحاجيات القبلية ومتطلبات الانتماء إلى الأمة الإسلامية وتمنح القبائل ما يبرر ادعائها بصلاح دينها وذلك ما يشكل الهيكل المؤسسي للعقيدة..³⁷

³⁶-سماتي محفوظ: الأمة الجزائرية، نشأتها وتطورها، ترجمة محمد الصغير بناني وعبد العزيز

بوشعيب مطبوع الديوان الوطني لمحو الأمية. 2000.ص.76

³⁷ليليا بسام نارنست كلينر ن عبد الله محمودي حان فافري ن جاك بيرك ن عبد الله العروي

ترجمة عبد الاحد السبتي وعبد اللطيف الفلق. دار تويقال للنشر الدار البيضاء المغرب 1988.ص.

52.

* ولد الشيخ في أول محرم الحرام سنة 1240 هـ. كما وجدنا ذلك في إحدى الوثائق بخط يده، وهو ما وجدناه أيضا في وثيقة الشرف التي أعدت بإشراف

مؤسس الزاوية: الأصول والنشأة

ينتمي إلى عائلة من آل البيت، الذين دخلوا الجزائر في حوالي القرن السادس الهجري ق.6هـ، وقد كان جده الأول سيدي بوزيد أول من دخل البلاد من هذه السلالة الشريفة، وهو يعتبر جد معظم الأشراف الموجودين في مناطق الهضاب العليا وشمال الصحراء، كما أكد ذلك كثير من الأساتذة الباحثين المعاصرين، ومن قبلهم العلماء والحكام، من أمثال الشيخ عبدالرحمن الثعالبي، والشيخ محمد بن عرفه، والزهر الباسم، وجاك بارك وآخرون وقد شهدت السلطات التركية بانتماء سيدي بوزيد إلى آل البيت، وذلك في وثائق رسمية صادرة عن الدايات هنا بالجزائر، وشهادة الشرف لا تمنح من طرف الأتراك إلا بعد التأكد من صحة النسب، لأن ذلك يعني سقوط الضرائب عنهم وتمتعهم بحماية الدولة كما سبقت الإشارة إليه.

الشيخ محمد بن الحاج محمد . والموافق 26 جويليت 1824م . ويذكر الشيخ محمد بن الحاج محمد أن مولده كان في شهر رمضان من سنة 1239 هـ، وهو التاريخ الذي تناقلته أقلام الذين ترجموا للشيخ فيما بعد .. كما وجدنا في بعض التقارير الفرنسية أنه من مواليد سنة 1820م³⁷ وهو أمر نستبعده. وكان مولده ببادية "الحامدية" في ناحية جبل تاسطارة، بين بلديتي دار الشيوخ وحاسي بديح بولاية الجلفة.

أما صحة انتساب المؤسس إلى سيدي بوزيد هو ثابت كما تبينه الوثائق، إذ أن أجداد الشيخ محمد بن أبي القاسم الذين قدموا من جبل العمور كانوا هم أحفاد سيدي بوزيد رأساً، وحظيت المنطقة باحترام وتقدير كبيرين من طرف السكان المجاورين، احتراماً لمن حلَّ بها من أحفاد الشريف الحسن بن الإدريسي.

ينتمي الشيخ محمد بن أبي القاسم* إلى فريق أولاد سيدي علي، أحد فرق شرفة الهامل الخمسة، وهم:

أولاد سيدي أحمد البكاي

أولاد سيدي أحمد

أولاد سيدي علي

أولاد سيدي بلقاسم بن علي الحسينات

أولاد سيدي أحمد بوعددي

أبوه الشيخ " أبو القاسم " الحسن بن، عرف بسعة علمه وصلاحه وتقواه، وكان صاحب غيرة على الدين والأهل وفعل الخير مربياً للأيتام، ولد في بداية القرن الثالث عشر الهجري (1201 هـ = 1784 م)، بمنطقة أولاد نايل، واصل مهمة آبائه بالمنطقة، إذ كانوا قد قدموا إلى الهامل لتدريس مبادئ الشريعة الإسلامية، بطلب من أهالي الناحية، حج إلى بيت الله الحرام مرتين سيرا على الأقدام. وكان من مريدي

الطريقة الرحمانية(38)، ومن أتباع الشيخ المختار بن خليفة شيخ زاوية أولاد جلال. كان يختم نصف القرآن الكريم في اليوم الواحد، خصوصا في أواخر أيامه، ويروى عنه أنه ما ترك قراءة القرآن في اللوح حتى مات.

رزق من الأبناء ثلاثة، توفي أحدهم في شبابه، وعاش الآخران، وهما المترجم مؤسس الزاوية³⁹ وأخوه الشيخ سيدي الحاج امحمد بن الشيخ أبو القاسم⁽⁴⁰⁾. جد الأسرة القاسمية المعروفة

38 الطريقة الرحمانية: هي طريقة دينية صوفية، نشأت في الجزائر في أواخر القرن 12 الهجري = 18 الميلادي، على يد مؤسسها الشيخ محمد بن عبد الرحمن الأزهري (ومنه أخذت اسمها)، ففي سنة 1183 هـ أسس الشيخ زاويته بقرية آيت إسماعيل ومنها انطلقت الطريقة الرحمانية التي كانت تسمى في البداية الطريقة الخلوتية، وهي طريقة تدعو إلى الصفاء والعودة إلى المنابع الأولى للإسلام.. أدت دورا هاما في الحفاظ على الشخصية العربية الإسلامية في الجزائر وفي مقاومة الاحتلال الفرنسي. أنظر عنها: دائرة المعارف الإسلامية، مادة رحمانية 10 / 533، تاريخ الجزائر العام للجيلالي 47 / 4.

39 رزق الشيخ محمد بلقاسم أبناء ذكرواناث ولم تكتب لهم الحياة ما عدا ابنته الوحيدة لآلة زينب التي ورثت بعده قيادة تسيير الزاوية 1897-1905

40 الحاج أمحمد بن أبي القاسم: هو الشيخ الحاج أمحمد بن أبي القاسم أخو الشيخ محمد، ولد ط سنة 1240 هـ. كان ه من الأبرار الصالحين. ومن عباد الله الأخيار، سليم الصدر موقفا معظما لحرمانات الله، محبا للعلم والعلماء، له كرامات صادقة وإشارات فائقة، معروفة متواترة عن من يعرفه، وكان الشيخ سيدي محمد بن أبي القاسم يحبه ويجله، ويشهد له بالصلاح، ويحرض الإخوان على التأدب معه ويحذرهم مخالفته، وله أدب كبير وتعظيم كثير مع أخيه ومحبة زائدة وخدمة جليلة وطاعة فائقة لأخيه الشيخ سيدي محمد بن أبي القاسم، وكان القائم بشؤونه أيام طلبه العلم بزاوية الشيخ بن أبي داود، وكذا أيام خدمته ومجاورته للشيخ سيدي المختار، فكان له في جميع ذلك نعم العون، ونال بذلك رضا الشيخين. توفي ط ليلة الجمعة على الساعة الثانية عشر الموافقة لاثنتي عشر من جمادى الثانية سنة 1316 هـ. ودفن على الساعة الواحدة نهارا، وتولى تجهيزه ابنه الشيخ سيدي محمد، حضر جنازته جمع غفير من العلماء والأعيان، ودفن قرب أخيه الشيخ محمد بن أبي القاسم. تمعلومات مكررة في

توفي غرة ربيع الأول سنة 1278 هـ = 1861م بالهامل ودفن به .

ظروف تأسيس الزاوية:

و يرجع تأسيس إلى الإمام الشيخ سيدي محمد بن القاسم الحسني (1823-1897) في 1844 المتزامنة مع فترة المقاومة الشعبية للأمير عبد القادر كان للشيخ مواقف ثابتة مع الحركات الشعبية التي عاصرها بدأ من مقاومة الأمير الذي أرسل له المال و السلاح وشارك في التطوع مع طلبته في صفوف المقاومة الشعبية، و في اللقاء الذي جمعه مع الأمير بناحية البيض الميعدات (البييرين)، وكان الأمير يتعرف كعادته على المتطوعين فاخبره انه جاء من التعليم إلى حضرة الجهاد، فسأله الأمير ما إذا كانت رغبته الأولى أثناء تعلمه فأجاب "كانت أمنيتي أن احمل لواء العلم" فأجابته: اختار لك الجهاد السلمي الأكبر فامضي على بركة الله و ⁴¹ أن يجري على يدك الخير"، ومنذ ذلك سميت زاويته "الرحمانية القادرية" فجمعت الطريقتين وأخذ الشيخ بأوراد القادرية -

أكثر من مصدر الزهر الياسم وتعريف رجال الخلف لرجال السلف للشيخ الحفناوي ..

⁴¹ رسائل أرشيف الزاوية: مراسلات : الأ مير عبد القادر، أولاد سيدي الشيخ بوعمامة ، زاوية خنفة سيدي ناجي، الحداد والمقراني وأخرى من زعماء رجال الدين أنظر بالتفصيل كتاب محمد فواد القاسمي الحسني : المكتبة القاسمية طبعة دار العرب ،بيروت مرجع سابق...

الرحمانية، و تواصلت العلاقة بين الشيخ و الأمير عن طريق المراسلة أثناء كفاحه و حتى في منفاه. ساهمت الزاوية نفس الدور مع إنتفاضة الزعاطشة وبوعمامة وبن شهرة والمقراني.. كما بينته رسائل الأرشيف. كانت الطريقة الرحمانية منتشرة في بلاد القبائل الكبرى و الصغرى ووسط الجزائر، و الشيخ محمد أبي القاسم نشرها في الصحراء و النجود إلى تلمسان وجنوب شرق الجزائر. وتم التدعيم وتعبئة و عاء الطريقة الرحمانية بناء على نصيحة الشيخ الحداد الذي وجه الموردين من القبائل إلى زاوية الهامل، التي جمعت شمل الجزائريين وذوبت التعصب القبلي.

تابع محمد بلقاسم دراسته بزاوية تسملت قرب أقبو على يد أستاذه سيدي أحمد بن داود 1844- 1849. رجع الى مسقط رأسه وأسس مدرسة تعليمية. وفي عام 1857 التحق بزاوية الشيخ المختار بأولاد جلال للتدريس ومنحه شيخه إجازة رئيس القوم للطريقة الرحمانية، وفي مجال ربع قرن أصبح ذا صيت وشهرة وتأثير واستقلالية من كل سلطة دينية. وبينت الوثائق الإدارية الفرنسية أن النجاح الذي وصل إليه الشيخ يرجع إلى قوة ذكائه ومعارفه الفياضة في حقول العلوم الشرعية ، التي جذبت فيضا كبيرا من الطلاب والأتباع. وصل مجموع الإخوان عام 1895 إلى: 43420 فردا، وتحتل زاوية الهامل المرتبة الرئيسية مقارنة بالطرق الأخرى⁽⁴²⁾

42 محمد الرؤوف القاسمي الحسني : لآلة زينب بنت الشيخ محمد أبي القاسم : القيادة والتسيير لمؤسسة زاوية الهامل ، التغيرات الأسرية والتغيرات الاجتماعية الجزء I سلسلة الوصل ، منشورات كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية ، جامعة الجزائر 2008 ص153/154..

وإذا رجعنا إلى الإحصائيات التي قادها الفرنسيون ، فإننا نجد أن الطريقة الرحمانية هي أوسع الطرق انتشارا في الجزائر في نهاية القرن التاسع عشر الميلادي . بلغ عدد أتباعها سنة 1851م حوالي **225299** مرید من بين **718691** إخوان ينتمون إلى الطرق الصوفية، وهذا في مقاطعة الجزائر فقط، وهو ما يعادل نسبة 32 بالمائة. وفي إحصاء كوبولاني و ديبون الذي قاما به في سنة 1897 نجد أن عدد الزوايا بالجزائر بلغ **349** زاوية، منها **177** زاوية خاصة تابعة للطريقة الرحمانية وحدها و عدد أتباعها **156214** عضو منهم **13000** إمراة أي ما يفوق نسبة **50** % . أوضحت الإحصاءات التي قامت بها الانثربولوجية العسكرية ، أن ما يقارب نصف مليون من الجزائريين ينتمون إلى الطرق الصوفية .

ركزت الادارة الفرنسية على معرفة الزوايا والمشايخ وعدد الأتباع وتشخيص الواقع الديني والوضع الأمني وذلك قصد تحديد قيود العلاقة بين المرید والشيخ وتقنين طرق الردع لجمع الصدقات. وفي عام 1851 ظهر أول إحصاء إلا بعد ' المؤامرة إبان سقوط الوصاية ⁴³ .

كما أن الدراية تصب في تعميق الرؤى وفهم آليات ظهورالزواويةوطريقة تعاملاتها اليومية مع أهل المنطقة وما ترمزه من خصوصيات اجتماعية. فمعرفة ظروف النشأة والعوامل التي ساعدتها أن تلعب دورا رياديا وفاعلا في

⁴³ Ahmed Nadir. Les Ordres religieux et la conquête française, Revue Algérienne des sciences juridique et politique ONS, 1972 .p. 824..

الحقل الإجتماعى - التربوي والسياسي والمستوى المحلى وخارجه. يبقى مرد ذلك التأسيس وتطور الزاوية مرهونا بالإنجازات المحققة من طرف الولي الصالح، المؤسس الأول و يقترن ذلك بالمكانة والدور والمؤهلات العلمية التي ساعدته أن يتزعم قيادة زاوية ، ويحتل مرتبة ودور كريمة قاداته إلى تحقيق القصد في بيئة اجتماعية متوترة تصادفت مع ظروف توطين الإدارة الاستعمارية.

تمكن الشيخ المؤسس القيام بدور فاعل، تناولته أغلب الدراسات التي تعرضت إلى ترجمته. إن هذا الشيخ استطاع في فترة قصيرة ان يكون له وعاء كبير من أتباع الطريقة الرحمانية وينتخب قائدا روحيا. لا تخلو دراسة دون الذكر والوقوف على شخصية المؤسس زاوية الهامل محمد بن أبي القاسم بن ربيح ابن محمد بن عبد الرحيم بن سائب بن منصور، الشريف الحسني الجزائري، أبو عبد الله الهاملي، فقيه مالكي، من المفتين، اشتهر بالعلم والصلاح، ولد في "الحامدية" من أرض البادية قرب جبل "تاسطارة" في الجزائر وهو من أهل "الهامل" في الجبل نفسه تفقه في زاوية، وعاد إلى الهامل ولابن أخيه محمد بن أبي القاسم كتاب في ترجمته سماه **الزهر الباسم في ترجمة الإمام محمد بن أبي القاسم** طبعه في الجزائر سنة 1308.44

44 الأعلام للزكلي : دار العلم للملايين أيا (مايو) 1986 /بيروت ص 9/7

ترجع المكانة الاجتماعية للشيخ على حد قول هشام جعيط في وصف الولي و ليس رئيس مدرسة فلسفية بل هو يدخل في أعماق المجتمع بجميع فئاته ،بماذلك العلماء وبالتالي يؤثر على الواقع الإجتماعى في جوانب عديدة بالدور المشع للزاوية وإنفاقاتها على الناس،ولكن أيضا كملجأ يلجأ إليه في الأزمات الفردية والجماعية .⁴⁵

تأسيس الزاوية أملتأ ظروف الحالة الراهنة التي كانت تعرفها قرية الشيخ وما تحتاجه من نهضة فكرية وعلمية .كما أن سبب اختيار المكان تم حسابه بشروط ظروف فقر المنطقة ومحاربة الجهل ، إضافة إلى ما تعرضت له الزوايا في الشمال من تدمير أثناء الحقبة الاستعمارية ... يجزم جاك بارك، بأن زاوية الهامل من المراكز الكبرى للتصوّف الطريقي؟!⁴⁶ .

هذا يعني أنها لم تكن فقط مركزًا للتدريس وملجأ للمحتاجين، وإنما فرع للطريقة الرحمانية التي ينتسب إليها المؤسس... إذا كانت زاوية الهامل مزارًا للزائرين والسائحين، وملجأ للمحتاجين، فإنها قبل هذا، وبالدرجة الأولى، مركزًا شهيرا للتعليم الأصلي الذي أوصت به السنة النبوية الشريفة، والقائم على تحفيظ القرآن الكريم... لقد بدأ الشيخ محمد بن أبي

⁴⁵هشام جعيط :مقدم كتاب : نللى سلامة : الولاية والمجتمع مساهمة فى التاريخ الدينى وإجتماعى لإفريقية فى العهد الحفصى . منشورات كلية الآداب ،منوبة ،المجلد 12 .2001.ص.9
أنظر 20J.Berque : Le Maghreb entre deux guerres, Le Seuil Paris P, 162
المرجع:

القاسم⁴⁷ التعليم عام 1848م، غير أنه لم يستقر في الهامل إلا سنة 1863م⁴⁸، أي سبعون عامًا بعد وفاة ابن عبد الرحمن، وهذا ما يدلّ

⁴⁷أما تأييف الشيخ لكتب مفيدة للعام والخاص فإنها شغله ذلك تعليم الحاهل وإيقاظ الناهل وتببيه الغافل إذأولى الكثير من عنايته إلى تنقيف العامة وبث روح الأخوة بينهم، في عصر كان الجهل فيه ضاربا أظنابه في ربوع الجزائر والجزازات القباية والجهوية النى استغلها الاستعمار الفرنسى على قاعدة فرق تسد. فقد جعل نصب عينيه مكافحته بالمبادئ الآتية إلى تعليم العلوم الدينية واللغوية للحفاظ على مقومات لشعب وقوميته وحسن الجوار بين الأفراد والقبائل والجماهات ونبذ الخلاف والشقاق واصلاحات البين بين طبقات الشعب وشؤونهم الداخلية النفسية والعائلية، إضاعة إلى ما قام به في مكافحة المراض الجسية والمعنوية، وساهم بشكل أكثر في مكافحة الفقر والجوع والعري بين الأفراد..

أن فكرة تأسيس الزاوية والمعهد، هي أمنية حُجَّاج الهامل. ووصية شيخه أحمد بن أبي داود، ونصيحة الأمير عبد القادر، وهو ما جعل هذه الزاوية محل فخر واعتزاز من طرف أشرف الهامل، وسكان منطقة بوسعادة، ومحل تقدير واحترام لدى الكثير من سكان الوطن الجزائري، وعلى الخصوص سكان الغرب الجزائر وبلاد القبائل، وكلّ المنطقة التي شملتها رقعة الدورة الجزائرية في عهد الأمير عبد القادر وجاهدت تحت لوائه، لقد كان الشيخ من أكثر أهل الخير تقديرًا للعلم والعلماء، وكان من الموجهين الدينيين والوعاظ الصادقين الذين يخلو تصوفهم من كل بدعة أو خرافة، حقق في سنوات قلائل للزاوية الرحمانية الهاملية صيتًا واسعًا تجاوز ما غيرها من الفروع الرحمانية، وتمكّن من يُدرّس كلّ الطرق الصوفية لعلماء الشرف "الأشرف" ومن أمّ المعهد من غيرهم.⁴⁷ ومن آثاره:

آثاره:

ترك الشيخ رسائل كثيرة منها:

- 1- رسالة في الهجرة،
- 2- رسالة في تحريم الدخان،
- 3- رسالة في تفسير سورة القدر،
- 4- وأخرى إلى بني ميزاب،
- 5- رسالة في أن الطريقة الرحمانية والطريقة الشاذلية طريقة واحدة،
- 6- رسالة في مقامات الأنفس السبعة،
- 7- وله منظومة الأسماء الحسنى... وغيرها من الرسائل...

على أنّ دروس الشيخ الأوّل بقيت حاضرة في أذهان المريدين... ويقول عنه الشيخ محمد بن عبد الرحمان الديسي الذي ألف في معهده بالزاوية 32 لإثنين وثلاثين كتابا .استطردالمؤلف لبعض أوصاف شيخه وقدوته أذكر سلوكه وأخلاقه " في رفع النقاب 1312 هـ "فهذا السيد الجليل نفاع لعباد الله لجاله وحاله وماله ،مشفق عليهم وحريص على هدايتهم وعلى ايصال الخير إليهم بكل وجه وبكل طريق ،يحب أهل الدين والصلاح ،ويؤثر أهل القضل ، ويكرم أهل العلم ويبجلهم بعيد عن التعصب والأغراض ،يوالى قي الع ويعادى في الله ، وهو دليل الصدق في المعاملة بين العبد وربه ، وهو أيضا ممن دفع الله بهم الضرر عن المسلمين ومعلوم أن دفع الضرر عنهم من فروض الكفاية كما في المحتصر باطعام جائعهم وكسوة عاريهم ومواساة مضطربهم واعانة عاجزهم وكفهم عن ظلم بعضهم بعضا إلى غير ذلك من آثاره الحميدة ،ومزاياه الكثيرة العديدةالمذكورة في الأعمال التضامنية اثناء الفترات العصبية التي عرفها الجزائريون اثناء الاحتلال ،فقد كان للأمير عبد القادر حلفاء مختصون في واحة بوسعادة، وفي ذلك يقول "تذير"⁴⁹، كان الزوايا الرحمانية ملجأ للذين أذعروهم شبح محو الشخصية ومظاهر اغتصاب الأرض وانهييار البني الاجتماعية التي كانت قبل الاستعمار وظهور بورجوازية جديدة من السكان الأصليين، فالطريقة نادت بالمساواة والإخاء وبمستقبل أفضل. كانت الزوايا الرحمانية ملتقى للفقراء والثائرين

فالسكان الأصلي كان يجد القوت والمأوى في الزوايا ومنه كان ينادي تلقائيا لكونه تابعا للطريقة ومن ثمّة ثائراً محتملاً⁵⁰.

قام الشيخ المؤسس بتوسيع ،وتنوع مصادر الأرزاق والموارد ،وقبناها في أشكال الحيازة العقارية في النل والصحراء .استصلح واشترى الأراضي وبنى مساكن مما ساعد الزاوية من فتح 30 زاوية فرعية ،موزعة على مناطق جغرافية متعددة.

من أعماله التضامنية المشهورة :

1- يذكر في عام "الشر" (سنة المجاعة) 1285 هـ= 1868م قام الشيخ بإيواء عشرات العائلات والإنفاق عليها.

2- سنة 1288 هـ = 1870 وكانت زاوية الهامل مكان لإيواء اليتامى والفقراء، سيما أبناء الذين قتلهم الاستعمار وشرّد أسرهم، فلما ثار المجاهد الحاج محمّد المقراني في سنة 1871م وقضى الاستعمار على ثورته استأصل عدداً من أهله، وشرّد من بقي من أسرته، فأووا إلى زاوية الهامل فأواهم الشيخ وأكرمهم وقام بهم أحسن قيام. وكذلك الأسر التي يببّد الاستعمار قراها ويقتل رجالها تأوي إلى الزوايا فتأويها، وقد التجأ عدد كبير منهم إلى زاوية الهامل فرحبت بهم، وأوتهم وأيتامهم وعلمت صغارهم وكفلتهم حتى كبروا... كان أثر الشيخ محمّد بن أبي القاسم في

⁵⁰ **Youssef NACIB** Culture oasiennes Bou-Saada: essai d'histoire sociale. E.N.A.L. PUBLISHED 1986 Alger. Imp. en Belgique P.240/63.

مجتمع عظيمًا... كان هو والعلماء الصالحون، وشيوخ الزوايا العاملون هم الذين أحبطوا خطط المبشرين...⁵¹

3- قدم سنة 1304 هـ = 1886م إلى زيارة شيخ المشايخ سيدي محمد بن عبد الرحمن وسيدي عبد الرحمن الثعالبي وأهل الله بحاضرة الجزائر، وتلمذ له جل أهلها من علمائها وفضلائها، وكذا نواحيها كالمدية والبليدة ومتيجة وشرشال والحرش وتابلط، وفي هذه الزيارة رَمَمَ ضريح الشيخ بن عبد الرحمن بالزليج والرخام.

4- في هذه الزيارة عرضت عليه السلطات الفرنسية الإقامة بالجزائر، وإنشاء مدرسة له، رغبة منها في مراقبته والسيطرة على تحركاته والحد من تأثيره على الأوساط الشعبية، بعد قضائها على مختلف الحركات الثورية، لكن الشيخ رفض طلبها، محتجا بأن بقائه بالجزائر سيؤدي حتما إلى المزيد من المشاكل، ويثير العديد من الهزات الاجتماعية فرنسا في غنى عنها.

وظل يتردد على الجزائر العاصمة كل سنة غالبا، آخرها السنة التي انتقل فيها إلى جوار ربه..

وكانت زاويته معقلا للوطنية والجهاد فقد ربط الشيخ علاقات وثيقة مع الأمير والحداد والمقراني خلال المقاومة . أزر ومول ثورة الزعاطشة ، حيث جمع المساعدات من الأعراش المجاورة وبعثها إلى

⁵¹ محمد علي ديبوز المرجع السابق ص 57.

المجاهدين في الزيبان ، وظل على صلة بالقيادة الروحية لهذه الثورة الجهادية حيث بقي أبناء سيدي بن عزوز ألبرجي وأحفاده على صلة وثيقة بالزاوية على الرغم من تفرقهم في شتى البقاع العالم الإسلامي ، ولم تنقطع مراسلاتهم للأستاذ ولخلا فاهه من بعده⁵².

كما تدخل الشيخ في ثورة مجدل 1864 وزكى روح الجهاد وكما كانت وساطة الشيخ مع باشاغا المقراني - بحكم صلة المحبة وقربا النسب - وبايعاز منه للتخفيف عن المجاهدين من وطأة الانتقام . وكان له نفس الدور الجهادي مع انتفاضة 1871 بالمال والجاه والتأييد والتعبئة الجماهيرية وأوى عائلات المقراني ما يقارب ثمانين أسرة إيواء ونفقة بزوايته ، فأنشأ لهم حيا سكنيا خاصا بهم

بقي الشيخ تحت مراقبة الإدارة الاستعمارية وكانت تترصد لجميع حركاته وزياراته للمدن الجزائرية وتحاصر نشاطه وكانت ترى فيه فرنسا شخصا يزعجها وتخاف أن يقوم بانتفاضة كسابقه مما أدى بالإدارة الفرنسية أن تقيد زيارته وتراقب مواقيته كما تبينه رسالة الوالي إلى الحاكم العام المؤرخة في 1897/06/27.

ترجمة : تقرير من والي الجزائر إلى السيد الحاكم العام :

مكتب الوالي . رقم 3973

حراسة الأهالي . الجزائر 27 أفريل 1897 .

⁵² الشيخ محمد المأمون القاسمي الحسنى شيخ الزاوية الحالي محاضرة بمناسبة الذكرى المئوية لمؤسس الزاوية .

الموضوع: فيما يتعلق بالمرابط محمد بن أبي القاسم.

من والي الجزائر إلى السيد الحاكم العام:

يشرفني أن ألفت اهتمامكم إلى الأحداث التي تسبب فيها الشيخ محمد بن أبي القاسم والمظاهرات التي صاحبت إقامته بالجزائر, حسب التقارير المرفوعة إلينا, والتي سلمناكم نسخة منها في السابق.

أرجو سيدي الحاكم العام أن تضع حدا لهذه الأحداث, بكل الطرق, وذلك بدعوة محمد بن بلقاسم مغادرة الجزائر فورا, وأن يقيم فترات محدودة في كل مدينة طلب النزول فيها:

المدينة, ثنية, بوغاري, التي سمحتم له بزيارتها في طريق عودته إلى بوسعادة, وذلك يوم 22 من الشهر الجاري.

فبقاؤه بالجزائر يسبب خسارة كبرى للخزينة العامة بسبب الأموال الكبيرة التي تضعها الأهالي بين يديه, زيادة على أنه مخالف للقوانين المعمول بها, ثم إنه يساهم في رفع الروح المعنوية للأهالي.

نرجو منكم اتخاذ الإجراءات اللازمة لوضع حد لهذا المرابط في أخذ " الزيارة ", ومنحه يوما واحدا فقط للراحة في كل محطة طلب التوقف بها.⁵³

الوالي: غرانيه.

وكانت أجهزة المخابرات الفرنسية بالداخل ترصد أخبار الشيخ بل وحتى من خارج الجزائر مثل الرسالة المستعجلة من البعثة الفرنسية

⁵³ ارشيف ايكس. المؤرخ في 1987/02/14 ترجمة إلى العربية

من طنجة بالمغرب ، مؤرخة في 1882/01/30 "...تشير إلى خبر سري للغاية ... أن رئيس طريقة يسكن قرب بوسعادة ، يسمى سيدي محمد بن أبي يلقاسم الذي يمتد نفوذه إلى دوائر سوق أهراس ، تبسة ، باتنة ، بسكرة ، وله علاقات سرية مع علي ابن خليفة ويفكر في تنظيم انتفاضة في كل من المناطق المجاورة ..." ⁵⁴

5- اهتم بتعمير الأرض واستصلاحها وزراعتها، وذلك لتأمين مصدر رزق الزاوية، فاستصلح عشرات الهكتارات بوادي الهامل والمناطق المجاورة له، كمرحلة أولى، وبني به السدود وشق السواقي ورفعها، وجعل كل ذلك وقفا على الزاوية يستفيد منه الطلبة والفقراء والمحتاجين، ثم بدأ في مرحلة ثانية بشراء الأراضي الزراعية في المناطق الأخرى مثل المسيلة والجلفة وتيارت والمدية وبرج بو عريريج تيزي وزو وغيرها من المناطق، وجعلها أيضا وقفا على طلبة العلم من رواد زاويته.

6- كما أوقف أموالا وعقارات وبساتين على زوايا شيوخه في أولاد جلال، برج بن عزوز، آقبو، طولقة والجزائر العاصمة، على مقام محمد بن عبد الرحمن الأزهري، بل هو الذي بني الحائط الذي يحمي المقبرة ويحيط بها.

⁵⁴أرشيف أيكس ما وراء البحار رقم 3973 الصادر عن ولاية الجزائر إلى الحاكم العام 1897/04/27. ترجمة إلى العربية .

8- وكان يدفع مرتبات دائمة لطلبة العلم والقرآن الكريم بالحرمين الشريفين ويساعد العلماء والشيوخ في ذلك، تشهد بذلك مراسلاتهم الكثيرة والمتعددة.

9- في سنة 1307 هـ = 1889م جدد بناء مسجد الأسلاف المشهورين بـ " حجاج الهامل"، محافظا على طرازه القديم.

10- أنشأ أكثر من ثلاثين زاوية تابعة للزاوية الأم بالهامل.

11- أنشأ جناحا صحيا خاصا للطلبة، ومن شدة الاعتناء لحفظ صحة الطلبة خصص خزانة للأدوية البسيطة، وهي مستلزمات طبية التي لا يتوقف استعمالها على نظر الطبيب، وكان يباشر العلاج بنفسه لمن مرض بالرماد وغيره من الأمراض السهلة، وأما من كان مريضا من التلاميذ بمرض كبير فإنه ينقل إلى المصحة الخاصة لعلاج المسلمين. وكانت الزاوية قد شاركت في خدمته بمالها وحرصت أتباعها على الإعانة فيه، ولها عقد وثيقة بين السلطات الصحية آنذاك استقبال طلاب الزاوية لتداوي بالمركز الصحي، بوسعادة. وإذا أفتضى نظر الطبيب أن يعالج المريض خارج المستشفى، فإنه يمكن بجناح فرع الزاوية ببوسعادة.

12- فرض قوانين صحية داخلية لنظافة أماكن إقامة الطلبة والساحة العمومية لحرم الزاوية، وعين مراقبا للنظافة،

يكلف التلاميذ بذلك ومن قصر منهم في تنظيف محله تجرى عليه عقوبة مالية تدفع لصناديقهم ..

13- وزع القناديل الزيتية على كافة مراكز إقامة الطلبة ، وتم استبدال القناديل الزيتية في عهد الشيخ بلقاسم (الشيخ الخامس) بمصابيح من الكهرباء وعممها في سائر المساكن وفي المسجد ، فزادت كمية الضوء زيادة كبيرة ، ونفقة ذلك كله من الزاوية ، لا يكلف التلميذ بشيء ، وهذا كله لخدمة صحة الطلبة المقيمين .

14- قام بدور تضامني مع إخوانه خلال أعوام القحط والمجاعة والأوبئة التي تعرضت لها الجزائر ومست مناطق شاسعة ، أهلكت الكثير ، وقدرها الأستاذ ساري الجيلالي بين 1866-1871 قرابه المليون وفاة ، وهي نسبة تمثل نصف السكان .

قام الشيخ محمد بلقاسم بتقديم الأموال ومواد غذائية من الحبوب والتمر والسمن والسكر وحتى من العسل الحر . تلقى رسالة الشكر من الحاكم الفرنسي، تثمن أعماله التضامنية . تضرر الوطن بصفة عامة وخصوصا منطقة الشلف وضواحيها ، حتى أصبحت من كثرة الجثث ملقاة على حافة الطرق والوديان ومعرضة إلى نهش الحيوانات . لم تستطع المستشفيات بالشلف استيعاب الكم الكبير، إضافة لنقص الأدوية والعلاج ، تحولت المساجد والزوايا إلى

مستشفيات مثل الذي عرفته مدينة شرشال عام 1867-1868⁵⁵.

سبق وأن فتحت زاوية الهامل أبوابها لاستقبال العائلات التي اضطرتها ظروف المجاعة في "عام الشر" 1868 في عهد المؤسس وبعد الحرب العالمية الأولى في عهد ابن أخيه سيدي بلقاسم (1915-1928).

الجانب الخاص بالمصادر المالية للزوايا:

تبقى صعوبة قاعدة حصر المعطيات الإحصائية المتعلقة بمصادر الثروة حيث لا يوجد تنظيم مالي دقيق لموارد الزوايا ومداخلها و مصاريفها ولا هي مسجلة بطريقة منتظمة إلا ما تحصلنا عليه من وثائق إدارية للأملك، أو من إحصاء الإدارة الفرنسية⁵⁶، وكما اعتمدت الزاوية على الحس الإيماني الذي يملكه أتباع الزاوية، وعموما، تعتمد الزوايا من الناحية الاقتصادية على مصدرين هامين ورئيسيين⁵⁷:

1 - تكون من الإعانات التي يقدمها لها المحسنون في شكل نقود، وبضائع ومواد غذائية مثل الحبوب والزيوت أو تكون من الحيوانات وادوات وألبسة ومفروشات وغيرها ..

⁵⁵ Sari djillali :Le désastre Démographique SNED 1982 pp 11/ 72/73.

⁵⁶ قامت الإدارة الفرنسية إلى الجرد الإحصائي كل من : أملاك زاوية الشيخ الحداد / صدوق

وزاوية الهامل

⁵⁷مجلة الثقافة ، السنة الحادية عشر -رجب شعبان 1401هـ، الجزائر ، مايو-يونيو 1981 العدد 63

ص.22

2 - أموال الحبس والأوقاف الإسلامية التي يوقفها عليها الأشخاص والهيئات الخيرية والجماعات ،وبعض الولاة والأمراء وتتنوع مصادر الدخل من ريع الأراضي المزروعة كالحبوب وحقول الأشجار المثمرة. وما تملكه الزوايا من عقارات أخرى تتفقها على احتياجاتها المختلفة .

حلت الزوايا في الجزائر محل غياب السلطة المركزية مكان المؤسسات الدينية التي وظفت نشاطاتها للحياة اليومية وأوكل إليها دور الحكم المحلي، وتكفلت بمهمة التعليم وأجهزة التنظيم الإداري والاقتصادي. وحافظت على التحام صفوف وتوازن السكان وانشغالاتهم وبالإضافة إلي الدور الخدمي للتوجيه الديني والتربوي. وخلصت دراسة 'سعيدوني' للزوايا أن البيئة التي أنتشر منها التصوف كسلوك ديني وتوجه اجتماعي وتعبير ثقافي ،يعكس واقع المجتمع المغربي الإسلامي الذي أصبح يعيش منذ القرن السابع الهجري 13م تراجعاعسكريا وانغلاقا فكريا وتأخرا اقتصاديا ومعرفيا . أن التصوف ،رغم اختلاف الآراء حوله يظل من وجهة التاريخ الاجتماعي تعبيرا ناجحا واستجابة موفقة عن شعور القلق وحالة الفراغ التي نتجت أساسا عن تعطل آليات المجتمع الإسلامي شرقا وغربا عن أداء دورها والذي برزت مظاهره في فوضى سياسية واضطرابات اجتماعية وتراجع عسكري وتأخر إقتصادي ، فالتصوف بهذه النظرة -كما يعبر عنه سعيدوني- هو عملية تراجع مخصب

(Régression Féconde) ، لأنه سمح باحتضان البيض إلي وقت التفقيس والمحافظة على الجوهر لفترة تجدد القشرة وتبدل الإطار الخارجي.⁵⁸

ولعل من أسباب التي حدّت من توسع أوقاف الزوايا بالريف كون المجتمع القبلي المحلي القائم على اقتصاد تكاملي معيشي ، كان يتكفل بخدمة الزاوية ويقوم بتغطية مطالبها ، مما سمح ببقاء أغلب الأراضي الزراعية والأملاك العقارية ملكيات فردية لأفراد القبيلة .⁵⁹

ساعد النظام الاقتصادي القيام بمهام الخدمات الاجتماعية مما سدّ ثغرة غياب الدولة المركزي وتكفلت الزاوية تسيير شؤون القرية مما يحتاجه السكان المقيمين بها ، ساعد ذلك على حفظ التوازن والمصالح العامة والاستقرار الإجتماعي الذي حافظ هو الآخر على تلاحم وحدة القبائل .تكفلت الزاوية شؤون تسيير ورعاية خدمات مواطنيها القائمة علي مبدأ الاحترام والطاعة لشيخ زواياها .

رغم، التباينات بين نظام زاوية وأخرى التي غالبا ما تصب في اتجاه واحد الترشيد والتعليم والتكافل وإصلاح ذات البين بين الناس وحماية المضطهدين والعون للمعوزين والفقراء وتوفير الأمن وغير ذلك. إضافة ،أنها حافظت هي الأخرى على البنية الاقتصادية القبلية القائمة على الأعمال الخيرية والمهام التطوعية بين أفراد القبائل ولفائدة الزوايا .

قامت الزوايا على استخدام نظام **الوقف** الذي أصبح يقوم بخدمات متعددة منها ضمان استمرارية المؤسسة القائمة و تأمين الخدمة

5858- ناصر الدين سعيدوني . مؤسسة الزوايا في الجزائر العثمانية المرجع السابق ص.46.

59- نفس المرجع المذكور ص.51.

الاجتماعية لفقراء والمحتاجين وتغطية نفقات المدرس والزوار فهو كذلك الرصيد والتموين الأساسي في سد حاجياتها الأساسية .

وظائف الزاوية متعددة الجوانب فهي محل للعبادة و منتدى للثقافة ومأوى للسلم يأتيه الناس من الضواحي القريبة والبعيدة وهي ملجأ للمضطهدين ومنزل لراحة المسافر وكل ذلك يجري تحت رعاية شيخ الذي هو دائما في خدمة ذات البين .

و يمثل النقارب النظري والمنهجي لانتروبولوجية الاقتصاد التضامني في المزج بين التنظيمات الطرقية القائمة على علاقة تنظيم الحس الروحي وبين الأعمال الدنيوية . تبين من خصوصية عنصر جمع المال وكسب الثروة ، وأن المبادئ الاجتماعية والدينية التي تقوم عليها الزاوية لا تشجع على تجميع الأموال فهي تهتم قبل كل شيء بنشر الثقافة وتعاليم الإسلام لكن هذه الوظيفة الاجتماعية الوديعه تسخر لأعمال اقتصادية ضرورية للحياة الاجتماعية.⁶⁰

كانت الزوايا سبابة في تأسيس الخدمة الاجتماعية سواء للفرد الواحد أو الجماعة وهي تعد من حيث تقديم الخدمات والمساعات مثل ماتعمل به حاليا الجمعيات الخيرية المعتمدة .

أما في وقتنا الحاضر فإن مدخول الزاوية تقلص، وتعرض بعد الاستقلال إلى تقليص موارده خاصة ما تعرضت له عملية نزع وتقليص مساحات ممتلكات الأوقاف ، وبقي مصدر الدخل يعتمد على تبرعات

⁶⁰محفوظ سماتي نفسه ص77-78.

المحسنين ،وشحت موارد الإعانات من طرف السلطة مقابل ما يقدم
للتنظيمات المجتمع المدني .

النموذج التضامني الاقتصادي الاجتماعي للزاوية :

لقد عرفت زاوية الهامل كغيرها من مناطق التراب الوطني ظاهرة
الوقف وقد تأثر فيها بأشكال متعددة حسب مصادر وشروط البيئية
ونمط الحياة السائدة بالمنطقة. وكون الأوقاف صدقة جارية تساير
حاجات ومتطلبات الواقع الاجتماعي .سايرت مؤسسة الزاوية أحداث
التغير المصاحبة للتحويلات الاقتصادية والاجتماعية ،محافظة على
سجلها التاريخي وتجارب اجتهاداتها الخاصة بالرعاية والتكافل
الاجتماعي من تعليم وما أحدثته من تثبيت وتأسيس قواعد تنظيمية
يسير عليها أتباعها من تربية صوفية وازعها توحيد الصف والتضامن
القائم على الاقتصاد التقليدي المتعدد النشاطات والعائدات والزيارة
المقدمة من طرف المحسنين ، رغم محدودية الدخل إلا أن القواعد
الموروثة تبقى أرضية لتحديد صور التضامن الاجتماعي للأعمال
الخيرية منها ما كان متعاملا به ما يسمى 'الغفارة' والتي رأيت فيها
السلطات الفرنسية شروطا تقييدية لجمعها ، حيث كانت تملك وسيلة
الضغط ، فمن ترضى عنه تتغاضى عنه ، و ربما تُشجعه على جمع
المداخيل من الزيارات و الغفارة ، و من تسخط عليه فإنها تمنعها عنه ،
فيصيبه الفقر، فما عليه إلا الاستسلام أو الانقراض ..⁶¹

⁶¹أبو القاسم سعد الله : تاريخ الجزائر الثقافي ج : 1-2 ص 110/109.

طبقت الزاوية نفس النظام التضامني المعروف المتبع على مبادئ الاقتصاد الوقفي القائم على الوظيفة الاجتماعية لفعل الخير، وضمان التكافل الاجتماعي لأفراد الجماعة المتضامنة. ويتبين من الوقف معرفة وتحديد أصناف الحياة العقارية التي كانت المصدر المادي للدخل وكوسيلة إستراتيجية لجأ إليها المؤسس الأول في تثبيت حيازة الأراضي ومصادر الثروة المتعددة. حيث قضت المجاعة أعوام 1867-1868 على أكثر من خمس السكان ، إضافة إلى ما عرفته سنة 1917 كارثة المزارعين، و قفت بعض الزوايا الميسورة ،ومنها ما قامت زاوية الهامل حيث قضت المجاعة أعوام 1867-1868 على أكثر من خمس السكان ، إضافة إلى ما عرفته سنة 1917 كارثة المزارعين، و قفت بعض الزوايا الميسورة ،ومنها ما قامت زاوية الهامل.

الزاوية والتنمية العمرانية :

وتبقى تلك الأبعاد والخطوات المتبعة ، قاعدة رئيسية تسير عليها الزاوية ، وتمس حتى تلك المنشآت العقارية الخاصة بتنظيم النسيج العمراني الذي اتبعه الشيخ محمد بن بلقاسم في تهيئة المجال العمراني للقرية واكتشاف الماء بعد الحفر والتنقيب عنه كشرط أساس حياة الاستيطان ، وتقنين قوانين تسير العمران ونهضته ، مما شجعت على إقدام السكان في بناء مساكنهم وتثبيتهم بقرب من الزاوية .

إن التدابير الأولى التي لجا إليها الشيخ في تسيير العقار الوقفي الذي خصصه لقطاع سكان البلدة انه بحق أداة من أدوات التنمية العمرانية المستدامة كما يسمى حاليا في أدبيات السياسات الحضرية .

وجد المؤسس نظاما عمرانيا متكاملا لإدماج الوقف في إستراتيجية التخطيط الحضري. كما أن الشيخ لم يعتمد فقط على فعالية الأوقاف في تأمين الوظائف التعليمية والروحية بل نظرته كانت ابعد إلى استقرار السكان وكانت غالبيتهم مكونة من عائلات تنتقل مع المواسم وبالظروف البيئية بحكم مصادر أرزاقهم القائمة في أغلبها على تربية المواشي .

لقد ساعد عامل استقرار السكان خاصة بعد دخولهم إلى القرية أنهم أولا بدؤوا في عملية بناء المساكن حتى يتمكن أبنائهم مزاولة تعليمهم بالزاوية. ومن الجوافز التي اتبعها مؤسس الزاوية في إقناع السكان على ذلك ، أنه منح لكل عائلة قطعة أرض بالمجان شريطة أن يبني مسكنه ويبقى ملك السكن وقفا على ذريته.

كما ترتب بعد انتكاسة انتفاضة 1871 التي قادتھا الطريقة الرحمانية بقيادة الشيخ الحداد والمقراني وما تلاها من عمليات التشريد والتهجير والنفي ومصادرة الأملاك .لم يكن تضامن الشيخ مع كل حركات الانتفاضات الشعبية التي عرفتها الجزائر وليد نشأة جديدة فقط ،بل كانت مساهماته بالعتاد والعدة وكانت زاويته فاعدة للتطوع ،إضافة الى ذلك تكفل الشيخ إلى إيواء وبناء وإيجار مساكن في كل من قرية الهامل وبوسعادة إلى 60- 80 أسرة لآل المقراني وشكلوا حيا سكنيا سمي بحى "المقرانية" واستمرت بعض الأسر إلى غاية الحرب التحريرية .

ولمعرفة الدور التنظيمي والاقتصادي لتسيير زاوية الهامل أن أسست مراكز اطوار التعليم والايواء الخاص بالطلبة المقيمين والمطعم و بناء خمسة مخازن ذات السعة لكل واحدة بـ 1000قنطار من الحبوب واشترى أربع مطاحن للحبوب ، وبناء قاعات الاستقبال والإطعام المسماة "النوالة"، إضافة إلى الفندق المسمى "العلي" الخاص لإيواء الزوار وكبار الأعيان ،وتلى بعد ذلك بناء المسجد، و أهم ما يشدّ انتباهنا في تخطيط المسجد محمد بن أبي القاسم هو خلوه من مئذنة، وكون المبنى معلما تذكاريًا،ومزارللعمامة. وبعبارة أخرى فإنه يندرج ضمن العمارة التذكارية،وليست العمارة الوظيفية.وما سبب اتساع بيت الصلاة، إلا دليلا على استيعاب أهل الاحتفالات الطقوسية التي تقام على شرفه سنويا من قبل خلفائه في الزاوية،وتلامذتهم المتتبعين للطريقة الصوفية الرحمانية⁶².

التنظيم الاقتصادي لزاوية الهامل :

ركزالباحثين الغربيين عن الدورالكاريزمي لشيخو الزوايا والعلاقة المرتبطة في تنظيم المعاملات مع الأتباع، وطرق تعامل القبيلة في احترام الشيخ على حد تعبير'ارنست كلينر' : المسالمة والسخاء بلا حدود . قد لا يكفي هذا الطرح لوحده دون ان يصاحبه معرفة القدرات المالية ونظام الحياة الوافية للزوايا التي مستها التعديلات.

ومما يلاحظ أن أوقاف الزوايا ببلاد القبائل وياق أقاليم البلاد الجزائرية لم تعرف تطورا ملحوظا في الوسط الريفي عكس ضواحي المدن

⁶² **Nacib (y)** : Culture Oisisienne , El Hamel le phare de l'oasis,essai d'histoire sociale. Entreprise National Algérienne du livre.1986.p238.

والجهات القريبة منها التي تحولت أغلب الأراضي بها إلي أوقاف خيرية⁶³. ولعل من أسباب التي حدثت من توسع أوقاف الزوايا بالريف كون المجتمع القبلي المحلي القائم على اقتصاد تكاملي معيشي ، كان يتكفل بخدمة الزاوية ويقوم بتغطية مطالبها، مما سمح ببقاء أغلب الأراضي الزراعية والأموال العقارية ملكيات فردية لأفراد القبيلة ،⁶⁴ بالإضافة أن الكثير من شيوخ الزوايا بمنطقة القبائل فضلوا أن يبقى نظام الحياة العقارية يحمل أسماء العائلة أي حياة فردية بدل من وقف على الزاوية. وهذا ما حول أملاكها كما يراها بوعزيز (يحي) إلي ما يمكن أن نعتبر بمثابة إقطاع لشيخ الزاوية ولعقبه كما هو الشأن لزاوية ابن علي الشريف بشلاطة التي توسعت أملاكها العقارية بوادي الصومام خاصة، وكذلك زاوية صدوق التي كانت أملاكها الزراعية قبل تعرضها للمصادرة من طرف الفرنسيين (-1871/1288م) ،تبلغ مساحتها 502,5 هكتار ،تتضمن على 62 مزرعة و 6 بساتين بها 14528 شجرة زيتون و 6 أحواش (ضيعات) بها 41 غرفة و 15 دكانا ومخزنا للتجارة و 3 إسطبلات و 3 رحبي ومعصرة زيتون واحدة.⁶⁵

ركزت غالبية الدراسات التي تناولت موضوع زاوية الهامل إلى طرح جملة قضايا التنظيمات التربوية والتعليمية والدور التعبوي الجماهيري التي خصت به في توعية الدفاع عن المقومات والثوابت الوطنية، دون

⁶³- ناصر الدين سعيدوني ، وضعية الأوقاف العقارية بفحص مدينة الجزائر أواخر العهد العثماني ،ضمن كتاب دراسات في الملكية العقارية ، الجزائر ، المؤسسة الوطنية للكتاب 1986.ص.77-101.

⁶⁴- ناصر الدين سعيدوني مؤسسة الزوايا في الجزائر المرجع المذكور .ص.51.

⁶⁵- راجع يحي بوعزيز أوضاع المؤسسات الدينية بالجزائر مجلة الثقافة عدد 1981/63:in:نصر الدين سعيدوني نفس المرجع .ص.52.

الإمام الى حقل الاقتصاد المعرفي ، والدور الفاعل وما قامت به في اقتناء وتسيير أمورها الاقتصادية وترشيد الموارد المالية ودينامكية العلاقات المنتظمة . ويتم هذا في الأداء وتوزيع الأدوار، بدءاً من الشيخ رأس هرم القيادة وفق سلم المسؤولية والوظيفة ،فنتوزع الأدوار على الباقي المشكل من المريدين والمقاديم الذين يمثلون الدور الوسطى و يلي في الأخير سلم القاعدة التي تمثل الأغلبية وهم الأتباع . .

جاء في الزهر الباسم⁶⁶ ما يأتي : " **ابتدأ بإحياء الأرض الموات بتسويتها وقلع حجرها وشجرها وغرس الأشجار بها ، حتى أحيا من الأرض ما شاء الله** " . وهذا قبل الشروع في أي بناء أو تشييد فنلاحظ تحضير البنية التحتية أو القاعدة قبل الانطلاق إلى التأسيس وهي نظرة ثابتة دلت على بعد نظر. و يتجلى ذلك في بعد نظر الرجل الصوفي ،فقد بدأ تحضيرالمواردالاقتصادية التي تساعد الزاوية على الاستمرار والصمود والاستقرار، عكس ما كان يعتمد على بعض رجال الطرق من الاعتماد فقط على الهبات والصدقات من طرف المريدين والأخوان. رسخت الفكرة الأولى عند المؤسس بشكل خاص في النظر إلى عقلته **المصادر المالية** ،ليس التخلص لكثرة أو قلة مواردها بل في تحويلها وتطويرها ،أي إرجاعها إلي مصدر يكفل لها عامل الديمومة. قن الشيخ تنظيم تملك الهبات والصدقات المرحلة إلى أموال وإرجاعها إلي طريقة أداة مالية استثمارية .

⁶⁶- الشيخ :محمد بن الحاج بن أبي القاسم : الزهر الباسم ،المطبعة الرسمية التونسية 1308هـ.

فالنجاح الأولي الذي حاز عليه الشيخ في بداية المرحلة إلى قيام كيان مؤسساتي كما يسمى في الأدبيات الاقتصادية المعاصرة 'صندوق الاستثمار لجمع الزكاة'. كلما توافرت مناسبات الزيارات المقدمة للشيخ توضع في الصندوق، يتحول بموجبه جزء من هذه المصادر إلى قطاع الاستثمار. كانت هي الخطوة المتبعة في الاستثمار الوقفي والتي تعمل عليها المؤسسات الحديثة لصناديق الاستثمار في بلدان المشرق العربي، وبدأت تراكبها في السنوات الأخيرة وزارة الشؤون الدينية التي اهدت هي الأخرى إلى إنشاء صندوق الزكاة واستثماره في مشاريع تنموية .

إن الخطوة المتبعة في تنظيم آليات الأموال المجمعَة وتحويلها إلى مصادر قارة خارج مصارف التمويل الأساسية لزاويته والتي طورها كما نرى لاحقاً لا تخالف الضوابط الشرعية والتي فيما يسمى بالوقف النامي. يحول الجزء من الأموال المودعة بصندوق المال الزاوية على تنمية وتدريب الأطر البشرية وتغطية تكاليف التمدرس وتجهيزات الزاوية ، ويبقى الجزء الآخر مخصص للاستثمار في قطاعات اقتصادية متعددة وتعود عوائده على العموم:

1- الموقوفون أو المساهمون : وهي المجموعة الممولة

تستفيد من عملها الخيري بما يرضى الله.

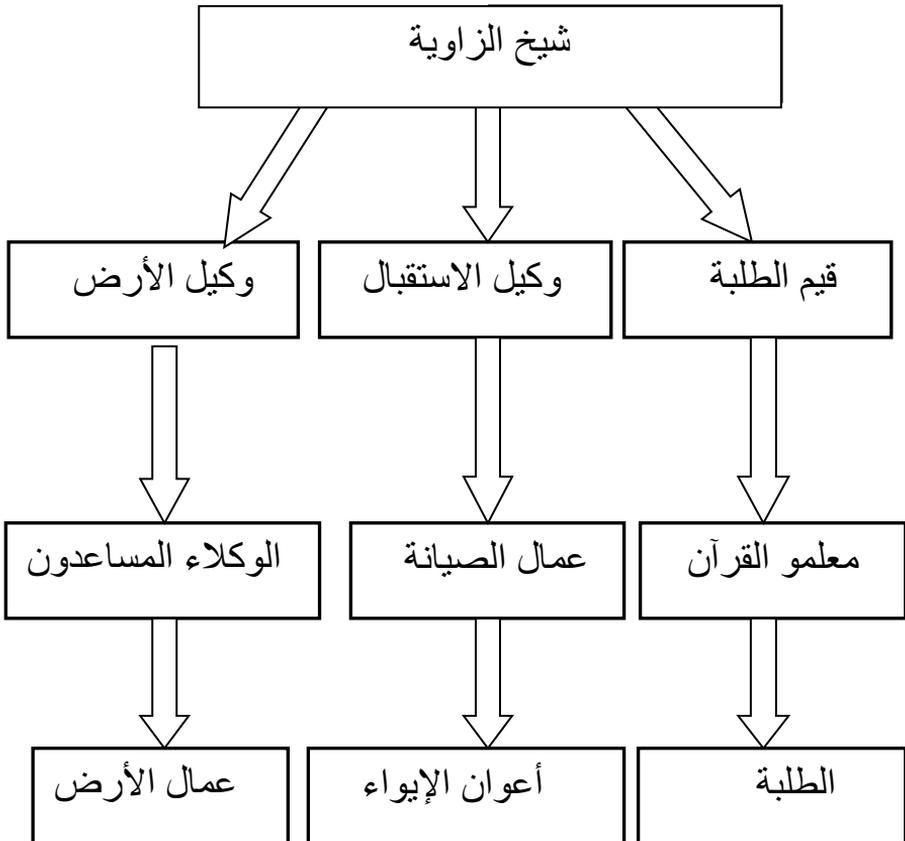
2- إدارة الزاوية .

3- الطلبة

4- الأتباع والزوار .

5- المجتمع.

يستخلص إن مؤسسة الوقف المتبعة بزاوية الهامل تبقى مرتبطة بمصلحة المشروع الوقفي القائم على طموح في الزيادة و تعظيم أصولها الوقفية و تعظيم الربح العائد من الاستثمارات الإضافية زد على ذلك العائد الاجتماعي والاقتصادي للمشروع والمتمثل في إيجاد فرص عمل مختلفة.



يلاحظ من البناء الهرمي للزاوية أن قيادة التسيير ترجع الى مسؤولية الشيخ :

- 1/ كل الأوامر تصدر عن الشيخ، إلى قيم الطلبة الذي ينقلها إلى المعلمين ويناقشها معهم ثم تطبق على الطلبة .
- 2/ أما الأفراد المعينون من الشيخ بالتكفل بالاستقبال يكون على رأسهم الوكيل وهو يعد همزة وصل المباشر مع شيخ الزاوية .
- 3/ وينوب الوكيل عمال يشرفون على مرافق الإطعام وآخرون يكون مهامهم عمال يعملون في مناصب التشريفات واستقبال الزوار ويكونون على إطلاع دائم بالشيخ وكذلك توكل لهم مهمة تسيير مرافق الإيواء بالنزل الخاص بالفود من الأعيان والأتباع وحتى الزوار المتعاطفين والسياح أكانوا محليين أم أجنب.
- 4/ وأخيرا صنف العمال الخاص بالصيانة تكون لهم مواهب متعددة كالذي يعرف إصلاح عطب الكهرباء وتنظيف مجارى المياه والبناء والتنظيف المرافق الخاصة منها :المسجد والنزل والمسجد والساحة التابعة للزاوية .ويستعان بهم أيام المناوبات التي يكثر فيها الزوار في المواسم الدينية كل واحد منهم يعرف دوره والأعمال الموكلة لهم ،يحسنون أعمالهم دون رقيب ، ويكون هدفهم رضى الشيخ عنهم .
- 5/ تبقى الأطراف المرتبطة يوميا داخل حرم الزاوية هم فئة التعليم من طلبة ومعلمين وعمال الصيانة وأعاونهم .

6/ أما الذين يشرفون على أراضي الفلاحة وهم بدورهم يتفرون من وكيل إلى عامل الأرض يكون إتصالهم بالشيخ تحدده ظروف معينة. وشيخ الزاوية هو الذي يعين مساعديه وأعوانه ، وإذا بدا له أن يعزل احدهم فعل .

ذلك أن الحياة الاقتصادية تتطلب بادئ ذي بدء النظام والسلم الاجتماعي لكي تزدهر ، فلا بد إذا من سلطة لحفظ الأمن للعمال الاقتصاديين والشيخ الزاوية أحسن من يكون للقيام بهذه المسؤولية فهو ينوب بكيفية ما عن السلطة العمومية التي عادة ما تكون غائبة في المناطق النائية والشاسعة كالفيافي الصحراوية التي تشقها القوافل العديدة لا تدعن إلا لقوة أخلاقية قوية والبوادي التي يصعب الوصول إليها في النواحي الجبلية ليست دائما محروسة من أعوان السلطة العمومية..⁶⁷

ففي كل فترة يتقلد فيها شيخ جديد منصب قيادة الزاوية ، يغير طاقم العمال ويختار بنفسه ممن يكون فيهم الأصلح ، وإذا بدا له يعزل احدهم فعل، والغالب كما أشرنا فإن هؤلاء، يتفانون في عملهم على الوجه المرغوب وطبق وصية شيخهم .نشيران كل الأعمال والمناصب المذكورة يتكفل بهارجال من القرية ولا يعمل ويتدخل فيها أي عضو من العائلة لا بالاستشارة والرأي ، وتبقى كل المسؤولية على عاتق الشيخ المسير، فهو المتدبر والمسؤول عن صيانة المعالم العمرانية من مساكن و مسجد الزاوية ومرافق الإطعام والإيواء وغير ذلك

⁶⁷سماتي محفوظ المرجع السابق ص. 77.78.

تبين من قدرة فعالية ونجاعة الزاوية في تسهيل قواعد تسييرها ؛كما ترجع في غالبها إلى مكانة الشيخ وما ترمز صورته لدى الآخر وما حققته مكانته العلمية والأدبية، فالزاوية هي المجال الحيوي لصياغة الإخوان الرحمانيين فكريا وعقائديا وسياسيا وحتى عسكريا كما قام به شيوخ الزاوية في مساندة كل الانتفاضات الشعبية. تحولت زاوية الهامل حين بلغت شهرتها التعليمية وقيادة مشيخة الطريقة الرحمانية ،حيث جعل منها "جامعة شعبية" تخرج الرجال العلماء ،وأعتمد مؤسسها على الجانب الفكري والعقدي كمنهج حياة للإخوان الرحمانين. علاوة على نظام التعليم بها، وأكلت لها امتداد المجتمع بالأطر الإصلاحية كالوعظ وإسداء كافة الخدمات الدينية اللازمة للمجتمع . فيهدتدون لحكمه و إصلاح ذات البين، والقبول به .يري المقبلون في رفع نزاعاتهم إلى الشيخ وهم في قناعاتهم التقرب منه بحكم المنصب ونزاهة الدور في إنصاف عدالته.تصبح الزاوية نقطة استقطاب ويوكل لها مهام فصل الخصومات للأحوال الشخصية ، يتوجه الناس إلى الشيخ من أجل حل قضاياهم .يحاول الشيخ في تقريب المسافة بين المتخاصمين لعل ذلك يرضيهم على التراضي أو التنازل إن كان نوع الخصوم حول قضايا مثل النزاع عن ارض أو بئر ...كما يتم عقد القران والزواج أو حتى الفصل في أمورا لطلاق يتم معالجتها بداخل حرم الزاوية ،زد على إطفاء فتيل الفتنة بين قبيلة وأخرى .كما تقوم الزاوية بالإضافة علي تلك الأعباء الموكلة لها برضي الناس التابعين لها .

تقوم الزاوية بنشاطات أخرى في ميدان التعليم الذي يعد أساس و أهم خدمة اجتماعية التي تشكلت وعلى أساسها وجدت الزاوية ،تتكفل بالتعليم و إيواء وإطعام الطلبة والتكفل بخدمة الأيتام والمعوزين ، وصيانة كرامتهم وأرزاقهم . كان للزاوية الفضل في مؤازرة إخوانهم الجزائريين وما تعرضوا له خلال سنوات القحط ، وتحول نشاطها الخدمي إلى جذب اليد العاملة ،أنقذت الكثير من المواطنين من تبعية البطالة في محيطها الاقليمي وحتى من خارج الوطن كما عرفه بناء مسجد زاويتها، فهو يعد أحسن مساجد المنطقة رونقه وجمالا واشرفت لالة زينب على تتمته واستعانت بمهندسين من تونس والمغرب وايطاليا.

أجمالا إلى ما ذكر ،يبقى الشيخ دائمافي أعلى درجة السلم وقمة الهرم ،محاطا بأقرب الأفراد الذين تتوفر فيهم سدادة الرأي والعلم الرفيع ، يستعين بهم الشيخ في تدبر أمور الزاوية لتغطية وتأطيرأمور التعليم . وتلي المرتبة الثانية المخصصة المقاديم (المقدمين) يكون دورهم مخصصا للتنظيم الداخلي للزاوية ويشمل فئة المعلمين .

أما الفئة الثالثة تمثل الإخوان من طلبة زوار الذين يتلقون العلم كحفظ القرآن وتعليم اللغة والاعتناء بحفظ الأوراد والأذكار وصيانة واحترام الآداب العامة، وتطبيق وصايا الشيخ الخاصة بالانضباط العام داخل الزاوية.

وأهم محطات وسجلات الزاوية ممثلة في معهدها العلمي، ومآقام به في تطويرمناهجه ومحتوياته البداغوجية، لم تبقى محصورة في شكلها المعتاد ومجرد معلومات ومحفوظات يتلقاها الطالب ويعيشها نظريا، بل هناك

معها تدريب عملي وممارسة فعلية على الحياة الوطنية في عالم الفكر والضمير في عالم الوجود والمعاش سواء ذلك كان في العبادات أو في المعاملات.

إنّ المعهد الهاملي يشتمل على التعليم الابتدائي والثانوي والعالي... وشروط الدخول إليه أن يكون التلميذ حافظاً للقرآن الكريم.... جدد المعهد قواعد ومناهج وآداب الدراسة والنظام الداخلي لطلابه، بما يكفل لهم عملية التسيير ومردودية التدريس.

استطاع المعهد -خلال مسيرته تكوين وتخريج آلاف الطلبة الذين شغلوا مناصب ووظائف حكومية، مست قطاعات متعددة. استطاعت الزوايا بفضلها القيام بأداء الوظيفة الموكلة لها وفي مواصلة نشر الرسالة التعليمية في أحلك مرحلة تاريخية للجزائر المستعمرة ، ويذكر أحمد توفيق المدني أن لهذه الزوايا بالجزائر مزية تاريخية لا ينكرها حتى المكابر ، تلك هي أنها استطاعت أن تحفظ الإسلام بهذه البلاد في عصور الجهل والظلمات وحاربت التنصير . كما تشهد على ذلك الزيارات المتعددة والمتكررة لعلماء تلك الفترة سواء من داخل البلاد أو من خارجها. قام الشيخ المؤسس بتعليم وتكوين وإجازة أحفاده بما فيهم ابنته لآلة زينب .

مارس جميع الشيوخ مسؤولية التسيير وممارسة مهنة التعليم بالزاوية. تميزت فترة تعاقب كل شيخ وفق حالات وظروف المجتمع

السائدة ،منهم من سير لفترة قصيرة من سنة إلى سنتين وآخرون وصلت إلى مدي بين 13 و 40 سنة.⁶⁸

⁶⁸ السيدة زينب بن محمد بن أبي القاسم 1904-1897. ولدت في بلدة الهامل، عام (1287هـ/1872م). حفظت القرآن الكريم، وتفقّحت على يد والدها. تولت إدارة الزاوية بعد وفاة مؤسسها، فأحسنّت تسييرها. كتب عنها بعض المستشرقين الذين رأوا فيها مثالا للمرأة العربية المسلمة التي أثبتت جدارتها في حسن الإدارة والسياسة، ولا سيما في تلك الفترة التي كانت المرأة في المجتمعات الإسلامية محجرا عليها. توفيت رحمها الله في الزاوية بتاريخ: (1323هـ/1905م) ودفنت بجنب والدها.

الشيخ سيدي محمد بن الحاج محمد: 1913/1904: كما استجاز شيوخ العلم في عصره فأجازوه واعترفوا له كالعلامة عبد الرحمان الديسي، الشيخ سيدي أحمد الأمين ابن عزوز دفين بقيع المرقد، والعلامة الشيخ علي بن الحاج موسى الجزائري، وغير هؤلاء من علماء الحرمين الشريفين، فاجتمع لديه ما لم يجتمع عند غيره، وما ذلك إلا لعلو همته وكرم نفسه ومحبته للعلم ورجاله، وبما اجتمع عنده من الإجازات. ذكر اسمه في علماء الإثبات كما في فهرس الفهارس.

كما أجاز كثيرا من متخرجي المعهد القاسمي خصوصا والقطر الجزائري عموما، (أكثر من خمسمائة إجازة علمية سلمها) منهم الشيخ شعيب بن علي قاضي تلمسان ،كما جاء في تقويم الجزائر لكحول في ترجمته للشيخ شعيب، كما الشيخ عبد الحي الكتاني عندما طلب منه ذلك، والشيخ العربي بن أبي داود والشيخ محمد الصديق الديسي، والشيخ العيد بن البشير الهاملي مفتي سور الغزلان، وغيرهم كثيرون.⁶⁸

كان مشاركا لعمه الأستاذ الأكبر في كثير من خدماته، من نصح للعباد وبذر الصلاح ونزع الفساد وحسن المعاشرة بين العامة والخاصة وصدق المعاملة. وغالب الوافدين على الشيخ من الأعيان والفضلاء هو الوسيلة لهم في ملاقاته الشيخ وإقباله عليهم، لما جبله الله عليه من حسن الأدب ولحظافة الأخلاق. فأوصى له الأستاذ الأكبر بالخلافة بعده، وأقامه مقامه على سجادة المشيخة وأجازه إجازة كبرى، وأشهد على وصيته خواص تلامذته⁶⁸ ، ما تأليفه فقد ألف في ترجمة شيخه ومربيه العارف بالله الشيخ سيدي محمد بن أبي القاسم تأليفه المسمى بـ " الزهر الباسم في ترجمة الشيخ سيدي محمد بن أبي القاسم " و" المطلب الأسنى في خواص أسماء الله الحسنى " خصصه لوظيفة شيخه القاسمي المعروفة في أسماء الله الحسنى، وقد طبع الكتابان معا بتونس عام 1308 هـ.

وقد تحدث عن الأول منهما العالم المؤرخ إسماعيل باشا البغدادي في كتابه " إيضاح المكنون في الذيل على كشف الظنون" في الصفحة 616 من المجلد الأول من طبعة الأستانة، وله أيضا:

. تحفة الأفاضل بترجمة سيدي نايل كتبها بطلب من الشريف بلحشر.

. نصيحة الأقران، ويبدو أنها رسالة في تحريم الدخان.

. حسن المعاشرة.

. عجائب المقدور فيما حل بزائوتنا من الأمور، وهي عبارة عن شكاية تعرض فيها لأسماء من سعوا في الفتنة التي قامت بينه وبين السيدة زينب وتولوا كبرها.⁶⁸

. رسالة لطيفة في الانتصار للأمير عبد القادر والذي عنه، ردا على مؤلف كتاب الاستقصاء في الحظ من كرامته والطعن في جهاده.

. وشرع في تفسير كتاب الله تعالى، لكن ما كتب منه إلا تفسير الفاتحة والآيات الأولى من سورة البقرة، ثم لم تتركه الحوادث والمحن التي جابهته وعاندته من إكماله على الوجه الذي يريد.

. وله فتاوى فقهية وأجوبة علمية متفرقة هنا وهناك مما لو جمع وطبع لأنتفع به رواد العلم وطلابه.

3 الشيخ سيدي الحاج المختار بن سيدي الحاج 1913-1915 وقد أجازه شيوخه الديسي بإجازة نظمية، كما أجازته العلامة الشيخ سيدي أحمد الأمين ، والومن عناية شيوخه القاسمي به وتوجهه إليه بالهمة والحال، أنه كان أنابه عنه في الإرشاد وإعطاء الطريق، فبعثه إلى الناحية الغربية من عمالة وهران، فانتشرت على يده الطريق، وذكر الناس بدينهم الإسلامي، وعقد لهم مجالس وعظية علمية تفسيرية وحديثية فقهية وأدبية، فازدحم الناس عليه وسمعوا منه، وقوبل بينهم بكل حفاوة وإكرام وتبجيل وإعظام، وانتفع به خلق كثيرون، فمنهم من تاب إلى ربه وأناب، ومنهم من ازداد إيمانا على إيمانه ويقينا على يقينه واطمان قلبه لما بلغه، ومنهم من كان سببا في رحلته إلى المعهد القاسمي أو تمسكه بالورد الخلوته شيخ شعيب والشيخ المهدي الوزاني عند اجتماعه به في الجزائر، والشيخ محمد حسب الله والشيخ محمد المكي بن عزوز.

الشيخ سيدي أبو القاسم 1915-1927 أجازته الشيخ محمد الصغير الجلاي إجازة في الطريقة بتاريخ 14 شعبان 1331 هـ، وله إجازة أخرى من الشيخ عبد الحي الكتاني إجازة كبرى عامة في العلم والطريقة بزواوية الهامل بتاريخ 12 ذي الحجة 1339 هـ =، ومن أعماله الجليلة التي خلدت له ثناء جميلا أنه في سنة التي أصابت الوطن في أولها شدة عظيمة وغلاء مفرط وهلكت فيها الأنفس والأموال، كفل السيد المترجم من منكوبي ناحية الجلفة وبوسعادة والشلالة وعين بوسيف والمسيلة وسيدي عيسى ما يزيد عن المائتين من العائلات زيادة على المجريدين من الأهالي، وأنفق عليهم في طعامهم وكسوتهم ما يزيد عن ربع مليون من الفرنكات، ويقوا في العيش تحت أكناف الزاوية وظلها إلى أن زالت تلك المجاعة وكشف الله تلك الشدة الدهماء عن عباده وولاده. حين اشتد تأزم أوضاع الخلق نتيجة سنوات القحط والمجاعة ، تحولت زاوية الهامل إلى مركز العناية والاستشفاء .

الزاوية والدور التعبوي

واكب الشيوخ الحالات المتعاقبة، تميزت في غالبيتها بسيطرة فترة حكم الإدارة الاستعمارية. ناور كل شيخ منهم بطريقته في الحفاظ على الموروث الثقافي. واستطاعت مؤسسة الزاوية ان تكون أعلام إقنداء و بلغوا شهرة وشأوا كبيرا وتركوا إرثا غزيرا. التعرف عن شخصيتهم ساعد في توضيح أهم المحطات الأساسية التي مرت بها الزاوية ، فهي تعكس عملية إحضار واجهة تلك الفترة وما تركوه من آثار و تسجيل أهم الأحداث ،بدءا من معرفة تكوينهم ومؤهلاتهم وكفاءاتهم العلمية، كلهم من أبناء الزاوية نشأة وتعلما .

قام شيوخ الزاوية ربط العلاقات بين العلماء, وجعل الهامل مركز التقاء ونقطة تجمع بالنسبة للكثيرين منهم, فأصبحت بذلك مركزا هاما من مراكز العلم بالجزائر, ومحطة من أهم المحطات التي لا يستطيع العلماء المرور بها دون التوقف وزيارة المقام الهاملي ,وإلقاء الدروس بها. حددت الأطر وقواعد نظام المشيخة وتسيير المؤسسة، بحيث تكون مواصفات الوصول إلى مرتبة المشيخة مشروطة بمستوى التأهيل العلمي والسن . هذه المجموعة من العلماء البارزين، ساعدت على مواصلة مسيرة

لشيخ : سيدي أحمد 1927-1928 له عدة إجازات من فحول العلماء كالشيخ العارف بالله شعيب بن علي بن عبد الله التلمساني، والشيخ عبد الحي الكتاني، والبركة المحدث عالم الديار الفاسية سيدي أحمد البلغيثي، والشيخ أحمد الأمين العزوي، والشيخ عبد الكريم التارزي، وأخويه الكريمين سيدي محمد وسيدي المختار، تشهد له بعلو مكانته وطول باعه في العلم والمعرفة.

أعمال سلفهم، فحافظوا على أداء التعليم العالي. وما نستخلصه أنهم جميعا درسوا ولم يتلقوا العلم خارج الزاوية على الإطلاق. عرفت الزاوية خلال فترة الشيوخ أن جدد وا هياكلها التعليمية و في توسيع نشاطاتها . انفردت زاوية الهامل أن قادتها وسيرتها امرأة صوفية ، بحنكة وصبر وتبصر، رغم العراقيل التي واجهتها من قريب وبعيد .

القبائل التابعة لزاوية الهامل :المردين /الأتباع

يتضح من كشف التعامل التضامنى التى قامت به الزاوية وامتداد وعاءها و توجيه أتباعها الرحمانية أنها تمكنت في عهد مؤسسها الشيخ محمد بلقاسم - خلال ربع قرن - من توسيع امتدادها ونفوذها الجغرافي، وتكون قطبا ومزارا لأتباع الرحمانية و غيرها من الطرق ، وصاحبها عملية استقطاب ، مست قبائل وأعراش عديدة ، في حدود **50 خمسين** عرشا أو أكثر.لم نجد مصدر موثق نعتد عليه ، استقينا المعلومات من كبار الشيوخ .وهي موزعة على عدة مناطق جغرافية بالشمال والوسط والجنوب الجزائري ،وهي جميعها عروش شكلت أكبر وعاء الموردين ومحبين الزاوية، مما يدل على دور الزاوية الذى قامت به في تقريب المسافة الجغرافية بين الجزائريين ، والتركيزعلى تعبئتهم وترشيدهم في قضايا تخص أمور دينهم ودنياهم . بقوا محافظين على ولائهم وزياره مقام شيخهم ،و التجمع والاستماع إلي النصح العام وما يقدم لهم من تربية روحية سليمة تخدم الصالح العام.

يغطي ولاء الزاوية من مجموعة قبائل، مما يدل على الدور المنوط لها في شكل قيادة أركان، و ترفع فيها حل النزاعات وتتخذ منها التوجيهات والإرشادات في خدمة النفع العام ، لهم أوقات فصلية لزيارة مقام الزاوية ،تكون بدايتها في فصل الربيع حتى أواخر الخريف، وأهم الأعراش هي :

من شرفة واعراش بوسعادة ، شرفة واعراش الجوابر بالبرين والحسينات من لروكات وعين الحجل، أولاد سيدي أحمد بالزعران ، بني صدقة نسبة إلى صدوق بالقبائل معقل بلدة شيخ الحداد محمد أمزيان ، وزاوية سيدي أحمد بن داود أستاذ الشيخ محمد بلقاسم ، نواحي أقبو ، وأولاد سيدي عيسى ولاية المسيلة ، و عروش العداورة وأولاد اعلان ولاية المدية . أعراش المويعدات بالبرين ،الجلفة والزناخرة يقصر البخاري المدية ، وأولاد عباد بخميسيتي ،وبني مايدة بتسمسليت وعرش المقان بقصر الشلالة ، وأعراش رحمان الغرابة وسارة ورحمان الشراقة الأغواط ، وأولاد شيبوط بحاسي بحبح ، وأولاد سيدي محمد بحاسي بحبح أولاد نايل الجلفة أولاد طعبة بمسعد. سليم وأولاد فرج الهامل ،عين أغراب ، عين الريش .أولاد مبارك نواحي الهامل بوسعادة واعراش زنيينة والشارف . السحاري وأولاد ماضي بسوقر: تيارت والمسيلة أولاد سيدي عيسى بسيدي لعجال . شرفة بوسعادة، الحسينات . النويرات أولاد سي أحمد الزعران. أولاد امهاني القديد بين الجلفة ، وأولاد ديسة المقان بواد الكويل الشلالة الغربية ، أولاد سعد بن سالم بو ارياح ما بين الاغواط وولاد ديسة . لأولاد عبيد الله بمسعد عين الابل .أولاد

سيدي زيان عين الملح. أولاد بخيطة السحاري الغرب الجلفة. أولاد محمد بلمبارك عين الريش. أولاد أحمد عين الملح. أولاد عمارة قبلة شرق سليم. أولاد عظيم امجدل. أولاد عامر القبلي أولاد عبد القادر بحبح. دار الشيوخ الجلفة. القبائل الصغرى والكبرى. سكان متيجة: الشيلي بوفاريك والقلبعة وشرشال، والبليدة وحجوط والأربعاء وتابلات، وبلكور والحراش من الجزائر المحروسة.

الزاوية والتنظيم الجمعي

صاحب مجيء الشيخ سيدي مصطفى أن تكونت في فترته كوكبة جديدة من العلماء، تولت التدريس كما تزامن فترته، أن شاركت الزاوية بعلمائها القاسميين⁶⁹ في الجمعية العامة التي تكونت منها جمعية العلماء بنادي الترقى 1931، كان عددهم لا يتجاوز 40 عالما، يمثلون خيرة علماء البلد.

لم تبقى زاوية الهامل منطوية حول ذاتها، بعيدة عن الانفتاح، بل سايرت الأحداث، وسجلت وجودها في تأسيس جمعية العلماء المسلمين وانتخاب أحد شيوخها عضوا (عبد القادر القاسمي). ففكرة الإصلاح الديني التي نادى بها جمعية العلماء وأسست عليه جمعيتها في 1931/03/05 وفق قانون 1901، لم يعمر طويلا مع ما تعرضت الطرق الصوفية من جدال ومهاترات

⁶⁹ المشاركون: الشيخ الزاوية مصطفى القاسمي الحسني، عبد القادر القاسمي الحسني، المكي القاسمي الحسني، بن عزوز القاسمي الحسني.

لم تتطابق الرؤى بين الطرفين وحركة الإصلاح خاصة بعد تعقيب الشيخ العقبي على شيوخ الصوفية ، أن وصف الكتاني "بالشيخ الهائم" والشيخ المصطفى "بالشيخ الدائم" والشيخ الحملاوي "بالشيخ النائم" ، وكانت هي الشرارة الأولى للخروج عن نهج جمعية العلماء .

كثف شيوخ زاوية الهامل مع حركة المرابطين والطرق التي عرفت اشفاقا بينها وبين العلماء المسلمين، فلم تستطع جمعية العلماء التقليل من نفوذهم وتأثيرهم على المجتمع الجزائري ، نظرا للمكانة الاجتماعية التي وصلوا لها، رغم الحملة التي قادتها جمعية العلماء ، بقي تأثير وقوة الطرق الصوفية مستمرا، صعب عملية تفكيكها، وتغيير نمط سلوك الحياة الثقافية الموروثة .

ومن الشيوخ الزوايا ، زاوية الهامل التي وافقت على مبادئ الجمعية، المبنية على محاربة الآفات الاجتماعية، وكل ما تحرمه الشريعة ، وينكره العقل، كما ساعدها ذلك في إصدار صحيفة الرشاد ، تهتم بقضايا رجال الطرق الصوفية وتوضيح صورتهم لدي الآخر.. طبع منها ما يفارب عددا قبل منعها من الصدور من الادارة الاستعمارية .

تبقى مشكلة النظام التقليدي المتوارث لدى الطرفين ، غير القائم على المفاهيم والتصورات المجردة -التي رأى الطرف الآخر تغييرها - بل هي راسخة ومتفاعلة بالقيم الروحية ، ولها تأثيراتها على السلوك الأخلاقي والتنظيم الاجتماعي بين أفراد المجتمع .

أدركت جمعية العلماء مدى صعوبة المهمة المنوط لها في تغيير وتجديد القيم الاجتماعية، في إطار وحدوي شمولي يصعب تفكيك العلاقات المنسجمة والغامقة منذ عهد مرت . إضافة، أن المرابطين كما ذكرهم -على مراد - استطاعوا حقيقة جعل الناس لا يستطيعون التفكير إلا من خلال عقيدتهم وتعاليمهم الدينية عبر الزوايا والمساجد والأولياء، وأهم من ذلك كله هو أن كل محاولة من فئة داخلية أو خارجية، تحاول التجديد لهذه الأنماط الثقافية .. أو التراجع عن عقيدة المرابطين فأنها تواجه برد عنيف.⁷⁰ نشطت الزاوية الحركات التنظيمية للجمعيات بعد ظهور قوانين 1901، وأخذت موقفا معتدلا مع الاتجاه الآخر، بل بقت العلاقات والمراسلات بين رواد جمعية العلماء؛ خاصة ما يتعلق بقضايا الجزائر والأمة العربية وعلى رأسها القضية الفلسطينية وتحريها⁷¹.

بقى الصراع والتصدي قائما لهجمات جمعية العلماء ضد خصومهم المرابطين ،و يمثل جزءا من برامج الزوايا كما اتضح من مؤتمراتهم، خاصة بين 1937-1939م.

قادت زاوية الهامل جمعية الزوايا وفي اعتقاد شيخها "ما تزال قائمة على أسس ومبادئ روحية نابغة من أعماق تاريخ الأمة الجزائرية ، وبفضل هذه القيم التي حافظت عليها الزوايا ، استطاع الشعب الجزائري الحفاظ على كيانه المميز منذ قرون مضت" .⁷² .تأسست (جمعية علماء السنة) في خريف سنة 1932م، تضم الطريقيين ورجال الدين الرسميين

⁷⁰ Ali Merad : Le réformisme Musulman en Algérie . op.cit.pp.276.-77.

⁷¹(انظر مراسلات الزاوية)

⁷² Message du kacimi mustapha .rapport N° 2132du 22 mai 1938 archives d'.Aix en Provence.

إضافة إلى بعض العلماء البارزين، لمناهضة جمعية العلماء... ودعموا حملتهم بإصدار الصحف، منها (المعيار) و(الرشاد : الناطقة باسم زاوية الهامل ورجال الطرق).

تزامن تأسيس جامعة الشمال الافريقي في أحلك الظروف الوطنية والعالمية من جانب و الانقسام في التوجهات الدينية بين علماء الدين من جانب آخر. تم عقد الاجتماع يوم 15 مارس 1938 بالعاصمة الذي حضره ما يزيد عن مائة 120 رئيس زاوية . وسبق هذا الاجتماع الأول كقيام الشيخ المصطفى القاسمي الذي دعي رجال الطريقة في سنة 1937 بالتنسيق ووحدة الصف.

توقفت تلك المهاترات بين الإصلاحيين والطرفيين ،وتجلى خصوصا كما بين شيخ زاوية الهامل في ملتقى فاس؛ومع استرجاع الاستقلال الوطني ، عادت الواجهة بطريقة غير مباشرة ،إلا أن شيوخ الزاوية لم يقعوا من جديد على نفس الشرخ وبقوا في الاتصال والزيارات المتبادلة مع جمعية المسلمين ..

أفرزت نتائج السياسات المتعاقبة في الجزائر وما ترتب عنها من تفشى مظاهر الفساد والانحراف، أن ساعدت الفاعلين الاجتماعيين بالرجوع إلى المنطق التاريخي للزاويا، وفرز الآليات والمحددات والمرجعيات الخاصة بها، وادراج الواقع الصوفي مع حركية المجتمع الجزائري.

سارعت الزاوية بعد أحداث أكتوبر 1988 علنضوء القوانين الجديدة للتتظيمات الجموعيةو تكيفت هي الأخرى معها ، وكانت سباقة في

تأسيس الرابطة الرحمانية للزوايا العلمية، وهي أول رابطة معتمدة على مستوى القطر الجزائري. حددت خطوطها العريضة وفي طبيعتها توحيد جهود الزوايا، وتنسيق تعاونها في مجالات : التربية الروحية، وتعليم القرآن الكريم، والعلوم الشرعية، والعمل المتواصل للحفاظ على الوحدة الدينية، وحماية الجزائري من التطرف الديني والتشردم المذهبي، وشروط التعصب والفتن الطائفية، والسعي لإصلاح المجتمع، وتطهير بيئته من مظاهر الفساد بما يضمن لشعبنا مناعته وتماسكه، ويحفظ له صبغته الأساسية وشخصيته الإسلامية.⁷³

ركزت الرابطة على إصلاح مناهج التربية الروحية في الزوايا لتحفظ لها قوتها، وتتجنب مواطن الضعف، وتستأنف رسالتها في إرشاد العباد، وتخليصهم من رقة الجهل، وتصفية بواطنهم، وتزكية نفوسهم وتعليمهم ما يصلح دينهم ودنياهم. حددت رسالة الزاوية والدور المنوط لها وذكر في بيانها أنها ليست للزوايا مهمة واحدة ولا جهة عمل محدّدة، بل هي مجموعة أعمال وعدة مهام تتناول المجتمع من جميع النواحي الروحية والعلمية والعملية والسلوكية.

الزاوية :نموذج استصلاح الأراضي:

أول خطوة عمل -اقتصاد تضامني- قام بها المؤسس، إن اعتمد على الاستثمار الزراعي المحلي كخطوة أولى لسد حاجيات وتمويل الزاوية، والتي تركزت في شراء الأراضي واستصلاحها القريبة من القرية، وشراء

محمد المأمون القاسيمي شيخ الزاوية الحالي بيان الرابطة الرحمانية للزوايا العلمية بمناسبة احياء 73 ذكرى تأسيسها 10 بتاريخ 1420/01/01هـ

جزء كبير منها ، وكلها تقع على جانبي الوادي ، سواء منها المتواجدة بالقربية أو القريبة منها في بوسعادة ومجدل والقرى الأخرى ، نظرا لقربها من السقي ومرد ودها يكون أكبر ، و قربها يسهل عملية نقلها إلى المخزن و مطعم الزاوية .

انتهج المؤسس على إستراتيجية استصلاح الأراضي وإحياء أراضي الموات .كانت نظرتة في العلاقة بين الدين والدنيا شيئان متلازمان ، ركز في بداية الأمر معالجة مشكل المعاش لطلابيه وزواره ووجه مكاسبهم من الزراعة والثروة الحيوانية .انطلق عمله فى الزراعة ،هداية مما جاء في القرآن " **مثل الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله كمثل حبة أنبتت سبع سنابيل، في كل سنبلة مائة حبة، والله يضاعف لمن يشاء** ".هذا وكما حثت الأحاديث النبوية الشريفة على العمل في الزراعة ، فمنها : **"من غرس غرسا فأنثر ، أعطاه الله من الأجر بقدر ما يخرج من التمر "**

وتبين وثائق الزاوية أن أملاك حبوس العقارات ومصادر أصل الملكية هبة وشراء وحتى بعضها كان رهنا. ومن جانب آخر، نوع الشيخ مصادر إنتاجه الفلاحي وركز على تربية الأغنام وفق الحديث الذي يقول " خير المال مهرة مأمورة ، وسكة مأبورة ومعنى مهرة أي كثير النسل ، وأما السكة المأبورة فهي النخيل المؤبر الحمل .⁷⁴ وما ذكر في الآية والحديث متطابقان في طرق المعاش التي سار عليها المؤسس .

⁷⁴سارة منيمنة : التكوين الوظيفي للمدينة الإسلامية .مجلة الإنماء العربي للعلوم الإنسانية نوفمبر 1982 العدد29.السنة الرابعة .ص.137.

يتبين من كشف ممتلكات الزاوية أن الاستثمار يركز على الزراعة وتربية المواشي وهي المصادر الأساسية التي أعتد عليها الشيخ في تموين مؤسسته وما يحتاجه المقيمين بها، وقد أدى نشاط الشيخ وحركته في الميدان الزراعي، إلى شراء الأراضي وتوسيع المناطق المزروعة بالوادي، واستصلاح مناطق شاسعة منه. مما حدا بالسلطات الفرنسية إلى تغيير الحدود الفاصلة بين قرية بوسعادة ودوار شرفة الهامل ، وذلك بتوسعة أراضي الدوار وإضافة هكتارات أخرى إليه ، امتلكها الشيخ وأصلحها.

اعتمد الشيخ في البداية على الاستصلاح وشراء الأراضي قرب زاويته، ولما توسعت ثروته وكثر أتباعه ،انطلق في تطبيق نمط جديد لتوسيع ممتلكاته في المناطق التي يزورها ركبه ، يكلف المقادير بالبحث عن أراضي للبيع سواء كانت بساتين أو للحرث ، وحين ظهورها حالات للبيع يكلف أحد الطلبة المقنتر للتفاوض على السعر والاكنتاب لدى القاضي. ويبقى المقدم المشرف والمسئول المباشر على زرعها وتغطية تكاليف عمالها وجني محصولها وإرساله للزاوية.

تجاوزت الأراضي التي كانت بحوزة الزاوية 900 هكتار حسب الإحصاء الذي تم بعد وفاة الشيخ. وما يستخلص من قراءة الوثائق ورسومات العقارات التي جمعناها -وهي كثيرة- تطلب منا الحذر في بداية قراءتها نتيجة صعوبة قراءة الخط من جانب والوقت الذي تستغرقته

في البحث وتبويبها وتحديد مساحاتها والمنشآت التابعة لها وتوزيعها حسب المناطق الأصلية وتثبيت أسعارها ومصولها إن وجدت بالوثيقة . يلاحظ من دراسة الوثائق أن ممتلكات الزاوية يغلب عليها التنظيم والدقة لأن كلها وثائق رسمية، مما يدل على حكمة الشيخ في توثيقها وخاصة المرحلة التي تأسست فيها الزاوية. عرف مؤسس الزاوية مسابقة القوانين الوضعية الخاصة بحيازة الأرض وتمليكها، و خاصة منها الموات بعد استصلاحها ،وحتى الأراضي التي يتصدق بها الأخوان ،وإشعار السلطات المحلية بخطواته من باب الإشهار من جهة والوقاية من مصادرتها من جهة أخرى. ويفهم من ذلك التعامل أنه كان سابقا بتصريح ممتلكاته خوفا من بطش وطمس أوقافه كما حدث في شمال الجزائر

كانت بداية شيخ الزاوية محمد أبي القاسم تتبع عملية استصلاح الأراضي ونسوغ منها أمثلة في ذلك كما عثرنا عليه في « وثائق أرشيف الزاوية » :

بني الشيخ السدود والقناطر وطلب من القاضي أن يقيد له جميع الأموال التي صرفها في بناء السدود والقناطر ورفع الحجر والحطب لوقود النار على الحجر وحفر التراب وكسر الحجر وتسوية الأرض وغرس الأشجار، لكي يستبان ويستفح له كمية عدد الإنفاق وتكون بيده تذكرة لمن شاء الله من بعده ⁷⁵.

75- وثيقة تسجيل من محكمة بوسعادة الخاتم غير واضح /ترجمة F.hureux مترجم محلف لدى المحكمة، مفيدة تحت رقم 11824 بدون تاريخ.

استصلح أكثر من موقع ،فكان ابتداء خدمتها في سنة 1888 .أجر على قطعة منها **خمسـة وأربعين رجـال** لرفع ترابها وكسر أحجارها وتسوية أرضها وغرس أشجارها ،فخدموا فيها مدة **ستة أشهر لكل رجل** منهم في اليوم **زوج فرنكا** وزيادة الأكل ليلا ونهارا وذلك بمجموع **16200 ستة عشر فرنكا ومائتان فرنكا** .ثم أجر على قطعة ثانية في سنة 1889 **ثمانية وأربعين رجـلا** لرفع ترابها وكسر أحجارها وتسوية أرضها وغرس أشجارها ،فخدموا فيها مدة **سبعة أشهر لكل رجل** منهم في اليوم **زوج فرنكا** ، وزيادة الأكل في تلك المدة ليالي ونهارا وذلك بمبلغ **20160 عشرون فرنكا ومائة وستون فرنكا** .ثم أجر على قطعة الثالثة في 1890 **ستة وخمسين رجـلا** لرفع ترابها وكسر أحجارها وتسوية أرضها ،فخدموا فيها مدة **ثمانية أشهر لكل رجل** منهم في اليوم **زوج فرنكا** وزيادة الأكل في تلك المدة ليالي ونهار وذلك بمبلغ **26880 فرنكا** ثم أجر قطعة رابعة في نفس سنة التاريخ **تسعة وخمسين رجـال** لنفس الغرض وبنفس الأجرة بمبلغ **31860 فرنك** . وفي الوثيقة المذكورة تفاصيل دقيقة لقيمة المعدات والآلات المستخدمة من 'بالات وبيوشات فؤوس وبروبات " لرفع التراب ما قيمته 5000 الالاف فرنك ،وفي أجرة " الماصوات" عمال البناء » -البنائين -في بناء السد ود والقناطر والسواقي بالحجر والجير و"السيمة" الإسمنت هي إحدى عشرة ألف فرنكيه .وكان المجموع الكلي **مائة ألف فرنكيه وإحدى عشر ألف فرنكا**

ومائة واحدة فرنك . توضح كذلك الوثيقة الحدود وموقع البساتين
وأسماء الشهود .⁷⁶

يستخلص من محتوى الوثيقة

1- ساعد الشيخ على إنشاء مناصب شغل موسمية، مكنت اسراقرية
في زيادة مداخلهم وكسب مهارة فن خدمة الأرض، بحكم أن المنطقة
تعتمد على تربية الأغنام بالدرجة الأولى.

2- بالإضافة على توسيع رقعة مساحة الأراضي الزراعية.

3- بينت طريقة الاستصلاح بالمنطقة المذكورة ليس بالأمر الهين بحكم
طبيعة تضاريس المنطقة الممتدة على أراضي صخرية. أوضحت الوثيقة
مدى نضج وحكمة الرجل الصوفي وميله إلى حب وتقديس عمل إحياء
الأرض وزراعتها .

4- تابع الشيخ خدمة الأرض و تأمين حاجات غذاء الطلبة المقيمين
وزوار زاويته.

5- أما الجانب الذي اهتدى إليه شيخ الزاوية هو تثبيت المبالغ المدفوعة
لأجرة العمال ومجموع تكاليف المصاريف المدفوعة التي أوضحتها
الوثيقة ثمن الأجرة المدفوعة في تلك الفترة

6- إن الشيخ دفع مبالغ مرتفعة مقارنة مع ما كان يدفعه المعمرون في
تلك الحقبة، وإن كانت الوثيقة لا توضح ساعات العمل وتشير فقط إلى
تقديم الأكل ليلا ونهارا ،وقد يفسر ذلك أن العمال ليسو مقيمين لدى

76- وثيقة التسجيل محكمة بوسعادة المرجع المذكور.

أهلهم ، وغالبا ينامون في مكان العمل أو بالزاوية بحكم قربها من موقع العمل.

7- توضح الوثيقة أن الشيخ كان على دراية وملما بالقوانين الوضعية للحكومة الفرنسية والمتعلق منها بنظام الضريبة الجبائية، فكان يقوم بتسجيل كل المصاريف التي تدخل في المشاريع الاستثمارية فتساعده من تخفيضات ومحو جزئيا من الضرائب المفروضة عليه سنويا لتسديدها الخاصة لممتلكات زاويته الثابتة والمنقولة ،ويكلف بتوثيقها المحامون لدى المحاكم .

8-اهتم بعملية إصلاح الأراضي الزراعية في السهوب وتنقيب المياه، وبناء السدود وغرس الأشجار، بموجب رفع الضرائب عنها وفق القوانين السائرة آنذاك.

ثروة الزاوية :القيادة وشرعية التسيير:

وقد كثر الحديث عن الثروة التي تركها الشيخ ورائه، وهي في عمومها ملك للزاوية ، باعتبار أنها أوقاف. وقد أدى نشاط الشيخ وحركته في الميدان الزراعي، إلى توسيع المناطق المزروعة بالوادي، واستصلاح مناطق شاسعة منه. مما حدا بالسلطات الفرنسية إلى تغيير الحدود

الفاصلة بين قرية بوسعادة ودوار شرفة الهامل ، وذلك بتوسعة الدوار وإضافة هكتارات أخرى إليه كان قد امتلكها الشيخ وأصلحها.

لم يتوقف نشاط الشيخ عند هذا الحد في توسيع ممتلكاته ليس في متطقة الهامل ، بل خرجت حدوده وأن تصل إلى مناطق كثيرة في السهوب للحرث ورعي الأغنام والواحات لزراعة النخيل والتل للحبوب. تعددت مصادر الثروة أثناء فترة المؤسس، وموزعة على مناطق جغرافية مختلفة .

وفي دراسة إحصائية قامت بها السلطات الاستعمارية، نجد أن ممتلكات الزاوية عند وفاة المؤسس 1897، وكانت تمثل قوة إقتصادية لهذه المؤسسة في حياة الشيخ، وتصب مواردنا في مصلحة طلبة العلم والفقراء واليتامى والأرامل، **إذا أشهد الشيخ على نفسه أنه لا يملك شيئاً لنفسه إنما حبس ذلك لمصلحة زاويته وفقراء بن عبد الرحمن أي مريدي الطريقة الرحمانية.**

يبقى سبب تدخل و تقييم الادارة الفرنسية لثروة الزاوية بعد وفاة المؤسس ترجع إلى خصوصية وحساسية أمر قيادة الزاوية بين المرأة الوارثة لآلة زينب و إجازة ابن عمها سيدي محمد من جانب و كيفية توزيع حقوق الورثة من جانب آخر .

تمخض عن وفاة الشيخ ظهور نزاعات ، وأخذت أبعادا متعددة ليس فقط على المخلفات المادية المترتبة عن المتروك المادي وتقسيم التركة

على أصحابها ،بل بقي الأمر منحصرًا حول أولية خلافة الشيخ الذي شكل المحور الأساسي في العلاقات المتشعبة بين أفراد الأسرة من جانب وأعراش البلدة ، بل تعدى الحد إلى خارج المنطقة والكل ينتظر ويترقب وحتى بعد المبايعة المبكرة ، ومنهم سطر موقفه ومال اتجاهه إلى إينة الشيخ لآلة زينب ، وآخرون مع ابن عمها والباقي يترصّد وينتظر إلى مجرى الحدث ..

لم تتوقف العلاقة الجدلية عند هذا الحد بل تدخلت أطراف الإدارة الفرنسية لفك الخلاف القائم بين طرف الورثة الشرعيين لآلة زينب وعمتها بالإضافة إلى زوجات الشيخ الأربعة ودراسة أحقية تولى مشيخة الزاوية .

كان الصراع عن أحقية المشيخة و التركة عاملان محرّكان بين أطراف النزاع مما أدى إلى تدخل السلطة القضائية والإدارة الفرنسية .بقت حالة الأطراف السابقة تدور حول شرعية القيادة والتي طالب بها سيدي محمد بناء على وصية عمه الموثقة بتاريخ 10/03/1887، وكانت هذه الوثيقة بإيعاز حاكم المنطقة "القبطان كروشار" مسئول المكتب العربي أثناء لقائه بالشيخ بمنطقة وادي الهامل بقليل قبل وفاته. أراد القبطان جس النبض، ومعرفة ما يدور في فكر الشيخ الذي لم ييح بسر خلافته إلى أي طرف كان ،وبقت الإدارة الفرنسية حائرة في أمر الخلافة ويعرف عن الشيخ لم ينجب أولاد ذكور، إلا البنات الوحيدة .

وكانت تصب التنبؤات التي توصلت لها التقارير الفرنسية في اتجاه تكهن خلافة الشيخ والتي قام بها مسبقا "القائد الفرنسي فورني" fournier ببوسعادة بتاريخ 28 جوان 1895، كما كانت تسير عليه الإدارة الاستعمارية المكلفة بشؤون الأهالي في رفع التقارير عن تحركات ونشاطات الشيخ ونظام الحياة بالمؤسسة في جميع المناحي. أشار حاكم بوسعادة "فورني" في تقريره أن الخلافة يكون مرد رجوعها إلى ابن أخيه سيدي محمد .

اتبع 'كروشار' CAPITAINE CROCHART نفس الاتجاه حين تولى خلافة فورني ،ورأى من الصائب أن يتمسك زمام قيادة الزاوية ابن أخيه سيدي محمد . يتضح أن تدخل الإدارة الفرنسية إلى هذا التفضيل قد فصلت فيه و قيدت مسبقا أمره ، واستبعدت السيدة زينب من ذلك. سبق للحاكم الفرنسي المحلي وضع آليات وقيود الخلافة حتى لا يحدث في ذلك أي مطب يقود إلى شرذمة الأتباع والمحبين .

كان التخوف الفرنسي من أن يتكرر الحدث في الزاوية ويؤدي إلى النهاية التي لا تساير مصالحها الأمنية وتقع في دوامة صراع وتناحر القبائل بعد أن خمدت الانتفاضات الشعبية الكبرى واستقرت جيوشها إلى الاستراحة من الحروب. وحتى القبائل واتباع الطريقة الرحمانية تجنبوا الميل في الخوض و إبداء الرأي و سبق القائد "كروشار" أن طرح في لقاءه مع الشيخ تقديم ابن أخيه لتولى مسؤولية قيادة الزاوية خوفا من أن يترك الشيخ المكان شاغرا وكما بينته الرسالة التي بعثها الشيخ والتي

يقول فيها: " تلقيت رسالتكم التي طلبتم مني فيها التأكيد على الحوار الذي جرى بيننا، فلتتم إنه ابن أخي سيدي محمد بن الحاج لأنه الرجل الوحيد الذي يقوم بالمهام على أكمل وجه وتعليم وتوجيه الأخوان ورفع مستوى الطلبة الثقافي والتكفل باليتامى والمساكين... بعثت هذه الرسالة يوم 10 مارس 1897 أي أشهر قليلة قبل وفاة الشيخ يوم 2 جوان 1897.

أملاك الزاوية:

يبقى موضوع الكشف عن حقائق أملاك الزاوية من أصعب المعضلات التي واجهت الإدارة الحاكمة والقاضي المختص في تحقيق الممتلكات الوقفية الخاصة بالزاوية،، إلا أن مؤشرات أولية قام بدراستها الباحث "أحمد نذير ثروة قائد ديني" بينت تلك الصعوبات المطروحة بعد وفاة الشيخ محمد بلقاسم، وأن الجرد الأول الذي حقق فيه وثبته قاضي تامسة بتقسيمه على ورثة الشيخ وسبق للآلة زينب أن رفضته جملة وتفصيلا بحكم أنها كانت على دراية بممتلكات والدها، حيث كانت تعرف كل صغيرة وكبيرة بحكم أنها البنت الوحيدة و المقربة من والدها .حدد قاضي تامسة الأملاك على ورثة الشيخ كما يلي⁷⁷ :

1- الأرامل الأربع زوجات الشيخ لهم الثمن 50000فرنك

2-آلة زينب بنت الشيخ 130000فرنك

3-أخت الشيخ لها عشر التركة 40000 فرنك

⁷⁷ 16H73 N° 130 du 23 octobre 1897. Archive En Provence

4-الجزء الباقي للزاوية 180000 فرنك

5-المجموع 400000 فرنك

وهذا التقسيم قد تم بعد الصلح بين أطراف المعنيين بموافقة ابنة الشيخ ، بعد أن تدخل "القائد كروشار حاكم المكتب العربي" لمدينة بوسعادة بتقسيم الميراث ويتولى قيادة الزاوية ابن عمها .تراجعت لآلة زينب عن التعهد حين عرض عليها تقسيم القاضي ، و طالبت أن تبقى الأملاك بيدها وللزاوية فقط وان عمته قد استوفت حقوقها في عهد الشيخ عن طريق منح سددها والدها للتكفل بمتطلبات الحياة وترعى عائلتها⁷⁸ .

كانت لآلة زينب امرأة عالمة ،تعرف القوانين الشرعية وما يخوله لها ذلك وحتى التقارير الفرنسية أشارت لها أنها امرأة حذرة وذكية⁷⁹ . وتم إحصاء الممتلكات الخاصة بأملك شيخ محمد بلقاسم. يذكر أحمد نذير أنه ترك 10000 رأس غنم و1000 جمل و20 حصان وبيساتين بقيمة 15000 فرنك و40 فراش و20000 فرنك بخزينة الزاوية.⁸⁰

وجدت في زينب المرأة الذكية والجدّ حذرة عن كل التنازلات ،الجدّ متحفظة والراضخة للتنازل لأبن أخيها . وحتى الادارة الحاكمة كانت على علم أن لآلة زينب هي الشخص الوحيد التي كانت على دراية بثروة أبيها. كانت تعرف محتوى الصناديق ومفاتيح الخزائن كانت بحوزتها بمعية خواجة الزاوية منهم أبناء المقراني، كما كانت تعلم بالديون التي

⁷⁸ Ibid.

⁷⁹ Rpport N°103 du 22aout 1897 16H73 Archive Aix en Provence أنظر :
أحمد نذير مرجع سابق ص 64 .:

:

⁸⁰ Ahmed Nadir .Fortune d'un Ordre Religieux Mouvement Social .Ecole Pratique Des Hauts Etudes. Paris N° 89 Oct.- Déc. 1974. .p. 65.

تركها الشيخ وأموره الأخرى ... الذي ما بحوزة "المقاديم" ، وحتى التقارير والإحصاءات الذي قدمها القائد كروشار كانت تستند إلى تقييم خاطئ للثروة ،.. يكفي أن نتعامل بعقد التبادل الذي تمّ مع الحاجة زهرة كي يتبين لنا أن هذا العقد به نقائص حسب الجرد الذي قدمه أحمد نذير بخصوص حق ميراث الحاجة الزهرة من أخيها والتي يعود لها الحق في عشر التركة.⁸¹ يعدالرفض الذي أرسلته لآلة زينب إلى القيادات العليا لم تكن من فراغ ومن غياب المعطيات الحقيقية و التي تجهلها حتى السلطات الفرنسية، وتعرف أسرارها إلاّ أبنته التي بين التقرير الإداري حين تمّ استجواب القاضي وسئل إن كان يعرف بأن لآلة زينب مزقت قرار القاضي بتقسيم الميراث ،اعترف الأخير عن جراتها. إن هذا تحديا آخر منها أمام سلطة تنفيذية وما يشير إلى شجاعتها أن تنتقل بنفسها إلى محكمة تامسة وتفعل ذلك أمام العنن ولا تعير اهتمام للحاكم للسلطة القضائية.

إن الضغط الذي ذكرته وورد في الشكاوى من ابن عمها الذي أراد أن يأخذ منها قيادة وتسيير الزاوية. لقد قررت لآلة زينب أن لا ينبو عنها أي طرف من أقاربها كما توضحه العريضة 23 أكتوبر 1897 وتذكر أن عمته ليس لها أي طموح أو طمع أن تتولى خلافة أخيها وأنها أخذت نصيبها من المنح التي قاضتها من أخيها والتي دفعت بطريقة منتظمة وهمها فقط قضاء حاجاتها والتكفل بتربية ورعاية أبنائها⁸²

⁸¹ r IBID. :p. 65

⁸² ٥ IBID. op. cit. .p.63.

الجدير بالذكر، أن الأراضي والمواشي جدّ منتشرة عبر التراب الجزائري ، مما تطلب أن تبقى تحت الحصانة إلى حيث يتم إحصائها. وهي أملاك كثيرة من أراضي وأغنام منتشرة في نقاط من البوادي والمد اشتر المتعددة في الوطن ، وهي بيد الأخوان الذين يرعونها، ويشرفون الوكلاء على زرع الأراضي في النجود بالهضاب والتل بالشمال أيضا والنخيل بالصحراء، ولعها كانت فرصة للإدارة التأكد من حقيقة الأعداد المصرح بها لدى مصلحة الضرائب التي تمثل الرسم الحقيقي للضريبة التي كان يدفعها الشيخ سنويا من جانب ، وإن بينت بعض الوثائق أن الشيخ أبي القاسم كان معفى من تسديد الضرائب ، ومرد ذلك إلى حسن سيرته ودبلوماسياته وتقرب الحكام الفرنسيين منه خوفا من توتر الأوضاع بالمنطقة، خاصة أن الفترة كانت فترة استرخاء وراحة للجيش الفرنسي.

لعب الشيخ على هذه العلاقات ، دون أن يتنازل على ثوابته وما كان يؤمن به . سارع في إنشاء مؤسسته التعليمية، وأسس قواعد تنظيمها والتحكم في تسييرها، مما ساعده على تراكم ثروته الطائلة التي جمعها في ظرف قصير كما هو مبين في الجداول أدناه .

لقد طرح موضوع إحصاء السلطات الفرنسية ليس قصد الكشف عن أسرار ممتلكات الزاوية فحسب بقدر ما يفتح باب معرفة النظام الاقتصادي المطبق في هذه المؤسسة وصولا إلى معرفة الوسائل المتبعة في الترشيد وإعادة إنتاج الثروة، ومنها التدابير المتخذة لفائض المنتج وحتى حالات الطوارئ.

لقد طرحت الإدارة الفرنسية الكثير من الاستفسارات والتأويلات للوصول إلى ضبط ثروة الزاوية بدأ من أن الشيخ الذي فارق الحياة والتي كانت زاويته قبلة الوافدين من الزوار من مناطق متعددة والذي كان بتكفل بصفة دائمة بـ 500 فردا ويتلقى من 12 الى 16 الف زائر في السنة . أن يفارق الحياة فجأة ، كيف صمدت الزاوية في ظل تلك التحولات ونوع التدابير المتبعة في استغلال الأملاك المتروكة ومن الثروة ما يكفي لسنوات كثيرة من بعده .

أظهر الصراع الخلافة بعد وفاة الشيخ حقيقة الأوضاع المادية للزاوية وان شيخها استطاع في ظل فترة قصيرة أن ينهض بالزاوية ماديا كما يبينه جرد قيمة الأملاك :

تحويلات وممتلكات	645000 فرنك
النخيل 30 فرنك × 10960 نخلة	328800 فرنك
الأراضي 250 فرنك × 900 هكتار	225000 فرنك
منازل 6875 فرنك × 10	68780 فرنك
المطاحن	12000 فرنك
الأغنام فرنك 17 × 35990 رأس	611830 فرنك
الجمال 100 × 100 فرنك	50000 فرنك
الممعر والبيغال 50 × 125	
6250 فرنك	

المجموع

1947360 فرنك

وإذا أضفنا إلى هذا المبلغ العقارات التي تركها محمد بن بلقاسم ، ومبالغ الذخائر والصيغة وأشياء مهمة أخرى من البنائيات والمبلغ النقدي 5000 فرنك تقبضه أرامل الشيخ سنة 1897. تتوقع المبالغ حينئذ إلى قرابة **2500000 فرنك**⁸³ كما يذكرها 'أحمد نذير' و يبقى جرد القاضي غير مكتمل بالنظر لشساعة أملاك الشيخ الموزعة في بقاع متعددة من مناطق الوطن وهي متعددة المصادر كما وضحنا ذلك في الجداول أعلاه.

آلة زينب بين الممارسة الصوفية و الترشيد الاقتصادي :

تبين أن أملاك الزاوية وقفية تسير بطريقة مركزية وكان الشيخ حريصا في إعلام ابنته لكل العمليات المالية، وتبقى تلك الأمور في سرية تامة. لكن الأمور تغيرت بعد الصدمة القلبية التي تعرض لها والدها سنة 1877، كلف قاضي بوسعادة أن يدون كل ممتلكاته الوقفية "الأراضى ، المساكن البساتين المخطوطات ، المكتبة ، المواشي، الأفرشة والنفائس من حلي المجوهرات وغيرها .. على ابنته وما تفرع عن

⁸³Ahmed Nadir : fortune d'un ordre religieux op.cit.71-72.

نسلها⁸⁴، وهي الوثيقة التي رافعت بها لدى المحاكم والسلطات الفرنسية على احقية مشيخة الزاوية.

لم يتوقف دور لآلا زينب في مشيخة الزاوية و قيادة الطريقة الرحمانية التي عرفت في عهدها توسعا، بل حافظت على أملاك زاويتها و طرحت حلولا ناجحة في زيادة مداخل الثروة و تحسين الموارد المادية.

كان المریدون يقصدون الزاوية على أن رئيسها بنت الشيخ وهم يحملون هداياهم وهباتهم فيتبرعون بها عليها، لكن يوجد من بين العامة خاصة وهم ذو الفكر و النظر يقصدون المعهد العلمي الذي يشرف عليه ابن عمها سيدي محمد فيسهمونه من العائدات أو الهبات النقدية مؤازرة منهم لطلاب العلم وناشريه.

ظل الوضع كذلك طيلة حياة السيدة زينب وهي على رأس الزاوية و التي عرفت إقبالا واسعا من أتباع الطريقة الرحمانية في عهدها، يؤمها المریدون من كل حدب و صوب من متيجة و منطقتي القبائل الكبرى و الصغرى إلى عنابة من جهة الشمال و من جهة الوسط مرورا بأولاد جلال و بسكرة و تبسة إلى خط الجريد بتونس نقطة - توزر - قفصة و من الغرب جنوبي وانشريس الى تلمسان وبالأخص السرسوو المهديّة و

⁸⁴ انظر أكثر Julia A. Clancy-Smith Rebel and Saint Muslim Notables, Populist Protest, Colonial Encounters (Algeria and Tunisia, 1800–1904) UNIVERSITY OF CALIFORNIA PRES1994Berkeley · Los Angeles · Oxford p234

السوق و تهيرت وحتى تاخمرة و معسكر و بعض نواحي وهران و تلمسان حيث نشر الشيخ الطريقة الرحمانية.

إن عملية الاستقطاب التي تميزت بها الزاوية و موقعها الجغرافي الذي لم يكن الا في قرية صغيرة كما وصفتها "إليزا بيت ابنهارد" و اكتشفت سرها البايث بأنها مباني تقام على مرتفع محاطة بأسوار عالية شاهقة و ذات ممرات مسقوفة تؤدي إلى قاعة حيث الطلاب يدرسون القران، يطل مقر الزاوية على القرية بمنازلها الصغيرة شرفاتها البيضاء و تخيلها...⁸⁵ وقال عن سيرتها العلامة الشيخ عاشور بن محمد في كتاب منار الأشراف :

" وتولت المقام بعده أبنته أعجب العجب وبضعته العذراء البتول السيدة زينب الولية الصالحة ، الغرة الواضحة ، القارئة كتاب الله عَزَّ وَجَلَّ والعامة المتفهمة في التفقه الأجل والله در صدر الرسالة القائل المرأة الصالحة خير من ألف رجل، فسارت في المقام سيرة والدها الرجل بالرجل والقدم بالقدم ، خصوصا في الإطعام والإكرام والفضل والإنعام والجود والكرم ، وناهيك أنها أنفقت في سبيل الله الملك العلام عدة عشرة ملايين فرنكا في أقل من عشرة أعوام «⁸⁶.

رغم قيود الجباية الضريبية المفروضة على أملاك حبوساتها، تمكنت في إدخال تعديلات جديدة وأن لا يبقى دورها قائم على دورها الديني مع الموردين، الممثلة في الموعدة الدينية و جمع الزيارة و إعطاء أوراد

⁸⁵ Isabelle .Eberhardt Notes sur la route .op. .cit. .507.

⁸⁶ الشيخ بن عاشور كتاب منار الأشراف . ص.37/36.

الطريقة الخلواتية والاعتماد الكلي على نفس مداخل ريع أراضي الوقف، بل ذهبت الى أبعد من ذلك في اقتناء منحا جديدة لعقلنه الترشيدي الاقتصادي و نجاعة تطوير النشاط الزراعي وفي تحويل جزء منه إلى مبادلات تجارية، شريطة أن لا يتعارض ذلك مع الشريعة الإسلامية .

إن الانفتاح الجديد المصاحب لعقلنه الترشيدي المطبق في عهدة لآلا زينب له مقارنة مع توجه الثقة و الإخلاص بين الفرد و خالقه و هذا ما طرحه ماكس فيبر M.Weber عن أخلاقية الروح الكالفينية المشجعة لحب العمل و التجديد في ظل نظام البروتستانتية.

يتبين في رسالة وجهتها الى المقدم قائد أولاد علان (ولاية التيطرى)

قالت فيها لآلا زينب ما يلي:

"أحيظكم علما أن المسمى الطيب بن العربي العلاني قد قبض مبلغ 1063 دوروا في حياة المرحوم، و كان عليه أن يوظفها طبقا للشريعة الإسلامية في مبادلات ذات فوائد... " ويستخلص أحمد نذير ما يلي " يبدو في رسالة لآلا زينب أن زاوية الهامل كانت تتعامل كبنك أعمال حيث أن ما يسمى بديوان الزاوية هي الحقيقة هي عبارة عن قروض تعطى لرجال الأعمال و الأرباح التي تترتب عنها هي في الحقيقة فوائد غير مذكورة علينا...⁸⁷ تجنبنا من إدارة الضرائب الفرنسية.

يعرف مكتب إدارة لآلة زينب المسمى "بالمخزن " ،موضع الودائع من الأموال النقدية و حتى من الذهب و الحلي التي يتركها أصحابها مثل ما هو متداول لدى البنوك الإسلامية العصرية ، يرجع الى كونها موضع

⁸⁷ Ahmed nadir op cit p.68.

الثقة، و لها سجلا خاصا للأمانات يحمل مواصفات الإيداع و السحب. أصبح للسيدة مكانة قيادية متميزة كما عبرت عنه "إيزابيل ابرهادت" "ربما هذه المرأة التي تلعب دورا إسلاميا عظيما هي الفريدة في المغرب الإسلامي " .

خصت لنفسها فقط إدارة الأمور المالية والعلاقات العامة وأما القيام بالأمور الدينية كالإمامة والورد ونحوهما من خصائص الرجال ،فعملت بما علمت. تركها أبناء عمها بعد أن عرفوا ما كانت تصبو إليه من أجر العمل والإحسان وتغلبها على طبائع الوسط السائد ، وفقد أعتز فو في حياتها وبعد مماتها بالفضل بحسن النية والاستقامة الدينية . أم مسألة التبذير المفرط في مصاريف الزاوية وتبديد الأموال مرده الى مسؤولية تحمل لآلة زينب أعباء المصاريف الباهظة وقدرتها إحصاءات الإدارة المحلية ببوسعادة أنها كانت تصرف كل شهر ما مقداره واحد وعشرين ألف فرنك .وبقت متمسكة بتولي الإشراف على أوقاف الحرمين الشريفين الذي أعتاد عليه والدها على تعيين الشيخ أحمد الأمين بنعزوز. كما أبقت على نفس نظام دفع أجور علماء مسجد الحرام النبوي بالمدينة المنورة ، إضافة الى الاستجابة على تلبية طلبات الأعمال الخيرية المحلية وحتى الخارجية مثل الطلب المؤرخ فى 29 شعبان 1319هجرية ، الذي قدمه علماء الحرم النبوي الشريف الخاص بترميم " أوقاف دار أبو عكاز بن عاشور" أوقفها لتعليم

وقراءة صحيح البخاري، يطلبون منها مبلغ ثلاثة آلاف فرنك وهو مبلغ كبير إذا ما تم مقارنته الى تلك الحقبة.⁸⁸

المعهد القاسميّ : 1962-1975

سبقت الإشارة ، أن رسالة المؤسس كانت تصب في تأسيس قلعة منارة للتعليم وإطعام الفقراء والمساكين وطلبة العلم ،على مختلف فيئاتهم ومذاهبهم ، وإلقاء الدروس على الراغبين فيها والوافدين من مختلف المناطق ، وإلى ما يطمح عليه ويترقبه طلاب العلم ،وهي الغاية التي جاء عليها الشيخ، إذ تخرج من معهده أغلب رؤساء وائمة الزوايا الرحمانية في عصره، سيما خاصة ما يمت بصلة روحية وثيقة " كالداوديين " و"المختارين" نسبة إلى الطلبة التابعين لزاوية سيدي أحمد بن داود والشيخ المختار ،الذين أخذ عنهم علمه وسلك طريقه من معهدهما.كما زاول التعليم في المعهد أكثر الزوايا الرحمانية وكانوا من نخبة التعليم وسلك القضاء . ويعلل "الشيخ الديسي بن عبد الرحمان" عن أسباب تأسيس المعهد أملت عليه ظروف سياسية ومناسبات خاصة: يقول"كان البشر مدعوون إلي التربية الروحية مدفوعون لها بدافع الإشباع والتطلع الروحاني ومعرفة أسرار التصوف والشريعة الإسلامية " .

أسست النخبة الأولى للتصوف العاطفي الروحاني نظاما اجتماعيا قائما علي ود التآزر والمحبة بين العامة ، والذي سمّي بالعاطفة وأوسع

⁸⁸محمد الرعوف القاسمي الحسني لآلة زينب القيادة والسيير لزاوية الهامل مرجع سابق

مجاله للعقل ، وبينت تعاليمه ومناهجه على خير الفرد وخير الإنسانية كما هو لذي حرك العواطف لإنشاء معاهد البر والإحسان والملاجئ والمستشفيات الناس كما زاد التصوف في زيادة نفوس الناس في إنتاج الأدب والشعر وحرك الناس مشاعرهم في محاربة أشكال الإهانة والاستبداد ، هي العلامات التي قوت العواطف وضمائر الناس أول مكان أقام فيه الشيخ مدرسته، انهالت عليه الخلائق من كل حدب و صوب بالزيارات والفتوحات وأحبيته القلوب .

أسس مدرسته ،وعلى توصيل رسالة مقصدها واضح في مسقط رأسه وهي الأولى بالقرية ، أسسها على تقوى الله ونشر العلوم الدينية وتربية الأمة ، تربية صالحة مطابقة لكتابه وسنة رسوله. ويذكر "جاك بارك" إلى ما وصلت إليه زاوية الهامل :

"إن تاريخ المجتمع المغربي يستطيع أن يستلهم الكثير من الأحداث الواردة فيه ،بالإضافة إلى الدرس المعنوي الذي يتلّفنه أبناء جيلنا مسلمين ومسيحيين من رجال الفضل والحكمة الذين أوردت مختصر ترجمة حياتهم . فيما يتعلق بي، إن تاريخ زاوية الهامل يهّم تاريخ المغرب بأسره من حيث المجهود الذي بذلته بكل عزم حتى في زمن الاستعمار ، وذلك باستنهاض القيم الروحية والاجتماعية التي تقوم مقام ملجأ للناس .انكم تذكرون بأن تأسيس الزاوية 1866 يصادف قيام نهضة في العلوم والآداب في المغرب ،ولقد نكرنم أسماء بعض رجالها الذين كانوا أصدقاء وتلامذة الشيخ السيد محمد بن أبي بلقاسم

رسالة جاك بارك لشيخ الزاوية، سيدي مصطفى ، collègue de ،
France ، الأرخة في 27/11/1960.⁸⁹

خصوصيات نظام التعليم وشروط الانضمام :

يمكن تلخيص مجريات العمل ونظام التدريس وفق وثائق أرشيف المعهد وما ذكره لنا الشيخ الخليل بالنيابة عنه⁹⁰

1 - أنه كان يعفي أبناء الشهداء وحفظة القرآن الكريم وأبناء قرية الهامل من دفع الاشتراك السنوي. أما الذين يحفظون نصف القرآن فيدفعون نصف الاشتراك فقط. العمل على كفالة اليتيم والأخذ بيد الفقير وصلة الرحم، وفق النصوص الواردة في ذلك من الكتاب والسنة. ولعلّ أهمّ منه، إعفاء حفظة القرآن الكريم، لما في ذلك من التشجيع على حفظ الكتاب العزيز، إذ خيركم من تعلّم القرآن وعلمه. فيجد الفقير الراغب في طلب العلم منفذاً يحقق به رجاءه، وهو الالتحاق أولاً بالكتاب، ولا يستغرق ذلك منه أكثر من عامين لينظمّ في سلك المعهد القاسميّ مشرفاً بحفظ القرآن

2 - كان المشرفون على المعهد يختارون من الطلبة من يتوسّمون فيهم النباهة، لتقديمهم إلى الامتحان، الذي يقرن نجاحهم فيه بتجاوز مراحل... فقد لا يمضي بعض الطلبة الأذكياء المجتهدين أكثر من ثلاثة

⁸⁹رسالة جاك بارك للشيخ سيدي مصطفى القاسمي ، شيخ زاوية الهامل 27 / 11 / 1960 النص الكامل ، أنظر لملاحق .

⁹⁰ توفى الشيخ الخليل في منتصف التسعينات ، شغل منصب مدير المعهد منذ 1962-1974 أرشيف المعهد بحوزة محمد فؤاد الخليل القاسمي :تلخيص بتصرف .

أعوام، و أحيانا عامين في المرحلة الابتدائية مثلا، والمقدّرة في القوانين الرسمية بستّ سنوات.

3- كما كانوا لا يمنعون الراغب في الالتحاق بالمعهد من طلب العلم إذا كان قد تجاوز السنّ القانونيّة للتمدرس والمحدّدة بستّة أعوام، إذ كانت الجزائر حديثة الاستقلال، وقد خَلَفَ المحتلّ فيها نسبة من الأميّة عالية، فلا ذنب لمن لم يتمكّن من التعلّم. وبهذا الترخيص والتساهل من قبل إدارة المعهد، التحقت أفواج من الشباب كان آيلا للجهل، بالمرحلة الابتدائية فيه دون أيّ حرج، لما كانوا فيه من كثرة. وإنّما، كما قلت لا تطيل هذه الفئة أو بعضها في الاعداديّة، إمّا لذكاء، أو لسعة إدراك بحكم السنّ. وفتح هذا الباب أنقذ مئات من برائين الجهل، ولا زال بعضهم إلى الآن يذكر فضل المعهد القاسميّ عليهم، إذ لولا فضل الله عليهم لبقوا حيث كانوا، وربّما أبناؤهم أيضا.

4 - كان يكتري مدير المعهد "الشيخ الخليل" بعض بيوت أهل القرية لإيواء الطلبة، ويرمّمها لهم، بعد أن ضاق مبنى المعهد والزاوية بالعدد المتزايد لطلبة المعهد القاسميّ. فكان المعهد مصدر رزق لكثير من البيوت، وتوصيلات الكراء ومصاريف الترميم لازالت شاهدة. فضلا عن الازدهار الذي شهدته البلدة بفضل وفود الطلبة وأساتذتهم. ومناصب العمل التي فتحت لأهل القرية. من إدارة وتعليم ورقابة وحراسة وطبخ وغير ذلك..

5- توجّه الشيخ الخليل إلى استجلاب الكفاءات العلميّة من مصر، وكان على اتّصال وثيق برئيس البعثة الأزهرية آنذاك بالجزائر، وتكليفه

فيما بعد للأستاذ الشيخ ياسين عبد العال بهذه المهمة، فكان يقصد مصر في عطلة الصيف، ويختار له أساتذة من جامعات الأزهر الشريف وغيرها، ويطلع مدير المعهد على تخصصاتهم ومستوياتهم العلميّة، فيختار بعد ذلك من يرضى، ويقوم لهم بالإجراءات التي تيسّر لهم القدوم والمكث. واستفاد منهم الطلبة خير الاستفادة. وكثرت هذه المعلومة للإشارة إلى ما في هذا الاختيار من دلائل على طموح الخليل إلى رفع المستوى العلميّ في الجزائر إلى أعلى ما يمكن الوصول إليه، ولو كلفه ذلك ميزانية المعهد بأكملها. وحرصه على جلب الأزهريين إنّما هو لإرساخ الفهم الصحيح للإسلام لدى ناشئة الجزائر. ولولم يكن ذلك همّه، لاكتفى بما لديه من أساتذة من الأسرة، وبعضاً من الجزائر، وأدّى دوره الإداريّ على هذا النحو. ويعلم الله، وهذا ما يشهد به كثير من أصدقاء الوالد رحمه الله أنّه كان قد تكلف لاستقدام الأزهريين ما أوقعه فيما بعد تحت طائلة دين لم يقضه إلّا مطلع الثمانينيات⁹¹. و إذ لم يضع في حسابه أنّ النظام الجزائريّ سيقبّل ظهر المجنّ للمخلصين من المجاهدين ولحملة لواء الإسلام.

7- برامج المعهد القاسميّ في بدايته إلى غاية ترسيمه، كانت من إعداد مدير المعهد ونخبة العائلة ، وبعض أساتذة المعهد، مشبعة بتراث الزاوية الخاصة بأدبيات التصوف ، فضلا عن مواد التعليم فيها. فكانوا يدرّسون في المعهد منظومات الشيخ محمّد بن عبد الرحمن الديسيّ الهامليّ في العقيدة والأصول والنحو وغير ذلك، كما كانوا يدرّسون في

⁹¹ ما سمعناه من المرحوم الشيخ الخليل و ما لخصناه عن ترجمة المعهد القاسمي ، محمد فواد الخليل صاحب دار النشر الخليل، بوسعادة .

مواد اللّغة بعض قصائد الشيخ محمّد المكيّ بن المصطفى بن عزّوز
والشيخ عاشور بن محمّد الخنقي...

8- بعد ترسيم المعهد، حافظ مجلس الإدارة على نمطه الأوّل في
التعليم، وأضاف إليه ما أمّلته وزارة التعليم الأصليّ آنذاك من موادّ
وبرامج، رياضيات وجغرافيا وما إلى ذلك، باستثناء اللّغة الفرنسيّة، فقد
كان المبدأ عدم تعليمها، لا نقمة على اللّغة بذاتها، إذ ديننا يحثّ على
تعلّم اللّغات، وإنّما على ما يكتبه بها أهلها ودعاتها ممّا قد يجرّ ضعفاء
النفوس إلى مراتعها. فمنعها كان من باب درأ المفساد، وسدّا للذرائع...
ومن المفارقات أن في تلك الفترة كانت معظم المناشير الإداريّة الواردة
إلى المعهد مكتوبة باللّغة الفرنسيّة.

9- كان التوقيت الدراسيّ للمعهد موافقا في شكله أيضا لروح الشريعة
الإسلاميّة، فأوقات الصلاة لها حرمتها، وبالتالي تكيف ساعات الدراسة
على ذلك الأساس، ليتسنى لكلّ أداء هذه الفريضة دون أيّ تقصير. كما
كان الشروع اليوميّ في الدراسة يبتدأ على الساعة السابعة صباحا، أي
بعد صلاة الصبح أيّام الشتاء، إلى غاية الزوال. ومن بعد صلاة الظهر
إلى العصر.⁹²

10- كانت نسبة النجاح العالية لطلبة المعهد القاسميّ ممّا نشر ذكره
في الآفاق، فقصده طلبة العلم من كافّة القطر الجزائريّ، وبعض الدول
الإفريقيّة كالمالي والنيجر والسنغال وغانا وساحل العاج...

⁹²محمد فؤاد الخليل القاسمي المرجع السابق

تخرج من الزاوية الآلاف من طلبة العلم، خلال قرن ونصف، وتراوح
تحصيلهم العلمي بين حفظ القرآن الكريم والفقہ في الدين، وبين بلوغ
أرقى الدرجات العلميّة، ولقد فاق عدد طلبة المعهد القاسميّ 1500
طالب عام 1975م.⁹³

يتوزع خريجو المعهد القاسميّ، منذ استعادة الاستقلال، على مختلف
قطاعات النشاط الوطني: رجال تربية وتعليم، ورجال قضاء، وأئمة
مساجد، وباحثين في الجامعات والمعاهد، ومؤطرين ومسيّرين في
مختلف المؤسّسات والهيئات كما توضحها احصاءات تخرج الطلبة .

1265هـ / 1848م = 1280هـ / 1863م = 080 - 200 طالب.

1280هـ / 1863م = 1345هـ / 1927م = 200 - 450 طالب.

1345هـ / 1927م = 1364هـ / 1945م = 300 - 600 طالب.

1364هـ / 1945م = 1374هـ / 1955م = 200 - 350 طالب

1374هـ / 1955م = 1382هـ / 1962م = 050 - 150 طالب.

1382هـ / 1962م = 1384هـ / 1964م = 200 - 400 طالب.

1384هـ / 1964م = 1390هـ / 1970م = 400 - 800 طالب.

1390هـ / 1970م = 1395هـ / 1975م = 1100 - 1500 طالب.⁹⁴

*جدول متوسط طلبة الزاوية من عهد تأسيسها

⁹³ إضافة إلى الوثائق المتعلقة بالمعهد منها المدونة خاصة مثل المراسلات والملاحظات المدونة من
طرف فؤاد الخليل القاسمي وطلبة خريجي المعهد .

⁹⁴ نقلا عن وثيقة " ملتقى التربية الروحية في الطريقة الرحمانية 17/16 شوال 1427هـ/
09/08/نوفمبر.

تواصل الزاوية أداء رسالتها التعليميّة، والتربويّة والاجتماعيّة، مسخّرة جهدها لتعليم القرآن الكريم، ونشر هدايته، وإرساخ مبادئ الإسلام وإحياء قيمه، وإصلاح المجتمع بالدين القيم والتوجيه الراشد، وتعمل جاهدة لتوثيق أواصر الأخوة والوحدة بين أفراد المجتمع، وصيانتها من الأفكار الهدّامة، والدعوات المشبوهة، والنزعات الطائفية المفرقة، والتيارات الدينيّة المتشدّدة.

ويتخرج منها حاليا عدد من حفظة القرآن الكريم في كل عام، مزوّدين بحصيلة من العلم تؤهّلهم للالتحاق بالمعاهد الإسلاميّة لتكوين الإطارات الدينيّة.

التضامن الاقتصادي الاجتماعي: التحولات الجديدة

لم تبق مؤسّسة الزاوية رهينة القيود والضغوطات التي عرفتها في ظل الجزائر المستقلة ، بل اعتمدت على مواردها القليلة المتبقية و من تشتت أملاكها الوقفية ، تكيفت مع متطلبات الظرف في تغطية تكاليف حاجاتها اليومية وما يحتاجه زوارها وطلابها كما حددت استراتيجية إهادة تأهيّذل حرم المسجد والزاوية وفق مقتضيات الحاجة والعصر بدءا من :

مشروع توسعة المسجد :

تعرف القرية تزايدا سكانيا وتوسعا عمرانيا، مما زاد في طلب إقبال المصلين على مسجد الزاوية. ونظرا لسعة قاعة صلاة المسجد التي لا تغط وتكفي حاجات المترددين عليه أيام الجمعة و في المواسم والأعياد وحتى أيام إقبال المردين والأتباع ، مما يستدعي قيام الصلاة في بهو

ساحة المسجد .فكرة توسيع المسجد كانت قائمة منذ أمد طويل من طرف شيوخ الزاوية ، لم يبادروا في تنفيذها إلا أن حلت فترة الشيخ الحالي "محمد المأمون "الذي أدمج توسعة المسجد في إطار مشروع كلية الدراسات الإسلامية والعلوم الشرعية بزاوية الهامل ، وهو مشروع متكامل في أبعاده وخلفياته ، يساير عصرنة المخططات وتصاميم المؤسسات الجامعية الحديثة .الهدف من المشروع تحديث منشآت الزاوية تماشيا ومتطلبات العصر من جانب كما تحافظ الزاوية والنهوض عن رسالتها الروحية وجهودها في نشر تعاليم الدين الحنيف وار ساخ قيمه المحددة في الأبعاد العلمية والثقافية والتربوية والاجتماعية .تحولت بعض الزوايا العلمية إلى معاهد دينية ، مولتها الحكومات المتعاقبة بناءا وتجهيزا وتاهيلا ، فهي عاملة تحت وصاية الشؤون الدينية والأوقاف . تم دراسة مخطط مشروع التجديد

الزاوية بمبادرة مالية ذاتية دون تدخل أطراف مسئولة في إدارة الحكم ،الذين باركوا وشجعوا على تخصيص ظرف مالي خاص لإنجازه . صاحب زيارة - الوزراء ورؤساء الحكومة السابقين بما فيهم رئيس الدولة - وعود وتضمينات التكفل على تحقيق انجازه . بقى مشروع كلية الدراسات الإسلامية يراود مكانه بسبب قلة الموارد المالية .إن تكلفة الانجاز قد حددت في منتصف التسعينات ب 33 مليار وهو مبلغ ضخم لا تستطيع الزاوية القيام به بمفردها نتيجة شح مواردها ،وتشتت ومصادرة حيازة أملاكها الوقفية .

مراحل المشروع الجديد :

يتضمن المشروع ثلاث عمليات مهمة :

أولاً: ترميم مباني الزاوية القديمة ، ومنها المسجد ترميماً وتوسعة .

- بيت المؤسس وملحقاته وبقية المساكن القائمة في الزاوية .

-المساكن القائمة في الزاوية

-البيوت المخصصة للوافدين .

ثانياً : تحويل المساكن القديمة إلى مرافق لكلية الدراسات الإسلامية

والعلوم الشرعية .بما فيها :

أ/ مساكن الطلبة

ب/ النادي العلمي .

ج/ المتحف .

ثالثاً: المباني الجديدة ن، وتشمل :

● قاعة الصلاة وأروقة المسجد .

● الجناح التربوي لكلية .

● المكتبة .

● مركز البحث في التراث الاسلامي .

● قاعة المحاضرات الكبرى .

● دار الضيافة .

● دار الطلبة .

● بيوت الأساتذة .

● الإدارة والرواق الكبير لكلية .

• المطعم والوسائل العامة .

يتبين من استراتيجية المشرفين عل تسيير لزاوية مواكبة العصرنة والتجديد والنهوض بالزاوية ،وتوفير شروط الإقامة والتعليم تماشيا مع رمزية ومكانة الزاوية والدور الذي قام به رجالها وما بذلوه في الحقول العلمية والتربوية والوطنية منذ أكثر من قرن .

أهداف المشروع الجديد. تتلخص في النقاط التالية :

- 1- الهدف التربوي
- 2- ترقية المستوى العلمي في الزاوية إلى التكوين العالي والبحث العلمي .
- 3- المحافظة على هوية التعليم القرآني القاعدي والأساسي .
- 4- المحافظة على تراث الزاوية الثقافي ، بحماية مراجعنا المعمارية ، وبعث عمارتنا الأصلية المتميزة .⁹⁵

انطلقت الأعمال في تنفيذ المشروع بدءا من ترميم المباني القديمة وتحديث منشأتها القاعدية وما يحتاجه الطلبة من راحة وشروط الإقامة ونتائج في ترقية الحياة العلمية والروحية.من جانب، وفي توسعة المسجد الجديد الذي طبع عليه داخليا نمط زخرفة العمارة المغربية.

إن طموح القائمين على تسيير الزاوية في تحقيق المشروع الخيري الباهظ التكلفة، لم يحد في عزيمتهم التوقف، بل يسير بخطوات بطيئة،

⁹⁵كما ورد في مطوية خاصة بمشروع كلية الدراسات الإسلامية والعلوم الشرعية بزاوية الهامل . أعدت خصيصا لملتقى التربية الروحية المنعقد بمؤسسة زاوية الفاسيمية 2008/11/08.

وتبقى الأشغال مستمرة، حيث يشهد المشروع حالياً المرحلة الثانية منه، مع استمرار الأشغال في المرحلة الأولى، الذي تأخرت لقلة الموارد اللازمة ، وكذا حالة البنايات القديمة ، التي تتطلب التركيز على ترميم بنيتها الأساسية ، وهي أسقف وجدران ، لتجنب انهيارها أولاً ، ثم إعادة تأهيلها وتحويلها وظيفياً لأغراض تخدم المشروع . وصلت نسبة تقدم الأشغال 60% خلال مدة 78 شهرا ، بالموازاة مع توسعة المسجد التي تنتمي إلى الجزء الثاني من المشروع ، ويعزى هذا التأخر ، بالدرجة الأولى إلى قلة الموارد المالية ، ثم أن صعوبة التدخل في الكثير من المرافق العتيقة المهددة بالانهيار ، ورغم ذلك فقد تم استعادة بعض من المرافق ، التي أصبحت قابلة للاستعمال ، على غرار مساكن الطلبة ، وكذا قاعة الضيوف يحوش الكرمة ، وهي إحدى قاعات بيت المؤسس رحمه الله .⁹⁶

بيانات مجسد مرافق كلية الدراسات الإسلامية والعلوم الشرعية:

تتوزع مساحة المرافق كما يلي :

1- مجمع القرآن الكريم:

أ- دارطلبة القرآن الكريم : المساحة: 1625 متر مربع.

ب- دار القرآن الكريم : " 652 " "

ج- دار الضيافة : " 354 "

2- مجمع الدراسات الإسلامية والعلوم الشرعية :

⁹⁶ مشروع كلية الدراسات الإسلامية والعلوم الشرعية بزواوية الهامل القاسمية ، مرجع سابق .

أ- الإدارة	:	المساحة:	600	متر مربع
ب- مركز البحث في التراث الإسلامي	:	"	600	" "
ج قاعة المحاضرات الكبرى	:	"	525	" "
د- المكتبة المركزية	:	"	550	" "
هـ فضاءات الجناح التعليمي	:	"	1800	" "
و- إقامة طلبة الكلية	:	"	854	" "
م- المطعم	:	"	390	" "
ن- مساكن الطلبة	:	"	1276	" "

نستج من وراء مسيرة الزاوية وما قام به الشيوخ من اصلاحات، مست جوانب كثيرة وفي تثبيت قواعد منهجية أمور الزاوية في تجديد هياكلها تماشيا ومتطلبات تحقيق طموحاتهم، وتجسيد البعد التربوي الروحي والحفاظ على مكانة مؤسسة وتراث الزاوية، و مواصلة ترقية المستوى العلمي، والمحافظة على التعليم القرآني .

تبقى العملية المصاحبة لإعادة الترميم والتجديد، تصب في إنتاج وتوزيع نمط معماري مهياً، ذي صبغة محلية وصيغة اقتصادية الشأن ، في أبعاد خدماتها للنفع العام. إن إستراتيجية المرافق الجديدة ، تتخذ تجاه قضايا واختيارات معينة، وهو تحدى ورد فعل ضد ضغوط يفرزها المحيط العام، وما آلت إليه أوضاع اللامبالاة للدور الطرقي في ظل الجزائر المستقلة.

* * * تأسست الزاوية على التعليم وقامت على نظام اجتماعي مبنى على ود التآزر والمحبة بين العامة. وعملت على زيادة تربية نفوس الناس ، و في ترفيتهم وتنظيمهم وتأطيرهم في وحدة جماعية، دعمت توزيع الأدوار والوظائف بينها ، وقننت طرق أسلوب الحياة اليومية ، وما تحتاجه من متطلبات عوامل الاستقرار .

* حافظت زاوية الهامل على تركيبها البشرية ، ووحدة خطابها المتوارث عبرا الزمان. فدراسة التاريخ الثقافي للزاوية يعد سجلا دائما ، فهي تصبوا إلى نشاط خدمي لصالح العام ، و ليس مبنيا على الريح بقدر ما يركز على ترسيخ التربية الروحية . قامت الزاوية بدور فاعل، وتسلمت بثوابت الثقافة العربية الإسلامية، وكان رجالها سباقين في المقاومة الشعبية، وكانوا سدا منيعا من عملية الانصهار والذوبان مع الثقافة الغربية فوضعوا أسسا وقواعد استراتيجية تتركز في تأسيس معهد تعليمي تكون معالمه وأبعاد توجهاته واضحة * . تبين ، أن تلك العوامل الاقتصادية المتبعة لنموذج دراسة مؤسسة الزاوية، وهي شروط تواكب التغيير مست قطاعات متعددة: التخطيط العمراني للمساكن والمسجد، الفلاحة، مساكن إيواء الطلبة... ولا ترفض التجديد كما تبين في الطرق التي اتبعها المشايخ الذين تعاقبوا على تسيير الزاوية... لم تكن مختلفة عن النشاطات السائدة وما هو مطبقا في تلك الحقبة.. احتاط الشيوخ الزاوية ، التكيف مع الأحداث المتعاقبة ، حتى تكون مؤسستهم في منأى ، بعيدة عن شروط المزايدات وتحافظ على قوانينها الداخلية التضامنية ورسالتها التربوية .

الملاحق

سيدي محمد بلقاسم ، مؤسس زاوية الهامل .



صورة : الشيخ سيدي محمد بلقاسم مؤسس زاوية الهامل
تظهر السبحة في اليد اليسرى على غير العادة المعروفة،
وحسب الرواية هي من اقتراح الرسام العالمي نصر الدين

إتيان لتمويه الحكام العسكريين قبل تنفيذ حكم التوقيف .
اتبع الشيخ نصيحة الرسام ، شيخ هرم ومريض ، لا يعرف
حتى موضع السبحة، ترك سبيله. سنة التصوير غير
معروفة .



صورة الشيخة لآلة زينب، زاوية الهامل 1897-1905

البركة

وملا من عندها من الواسع

بسم الله الرحمن الرحيم وملا من عندها من الواسع

اذ كان فيه حفيظ العروة العظمى من اهل البيت
 وراهب من بيت النبوة فيل شتينا ونبينا الصديق
 ابو بكر المرفوع في النبي ونبينا هو العروة العظمى
 عن محمد بن ابي شيبة في الخبر بالجمع والاشتراك
 الحمد لله رب العالمين والصلوة والسلام على ائمة
 سيدتنا من آل الله عليهم وعلى الوصي والتابع
 والطاعة والواشي من اهل البيت بعد ما جعل الله
 ملك السما ما بعد جبرئيل والحمد لله الذي جعل
 القوي العزيز محمد الامير من حضرة الامير من الكعبة
 انه لما تولى التدبير والخلق والبيعة ابراهيم
 العلامة الشيخ سبيل في علاج من جبرضاها صا
 عنه اذ كان في زمانه من قوله صلى الله عليه
 من صرح في معروفا في قوله جان في قوله
 نحلوا انكم فكذا فيتموه وجهنا الهمة لله وحققنا
 في ان يقبلنا ما منه رملا لقوله انا عندك سيد
 اليه في قوله عاينا بكل سور وفيه وكل عا
 من يجمع خلفت اليه في الوجود والامر في
 ويحكمه من الشر كله في الدين والباو كانه وان
 ويحكمه من شر الارض كل شيء وسخر له كل شيء
 كل شيء ولا يسهل في امره عن شئ والرزق الواسع
 والبركة

وان يترفع ذرية تكو في هذا الجريان وملا لا سراك البركات
 منوار تايها في الوجود والامر في الوجود والامر في الوجود
 الوجود والامر في الوجود والامر في الوجود والامر في الوجود
 والامر في الوجود والامر في الوجود والامر في الوجود

2- نموذج من رسائل الشيخ الحداد امزيان شيخ الطريقة الرحمانية
(زاوية صدوق)

وصلت على سيدنا محمد وآله

السلام

في الكونوار الربانية والاسرار المستقمة من الحق في العباد
 ذرية الرسل وخيرة الرحمي تحت (الله) ارضه من ورد الله ان
 والقدام من من عونه ومن دعائه شمس الفكرنا محمدنا وقرنا
 والسنارة ووسلنا الى ربنا صنوا لينا العارف بلك
 لبيد ومواري محراب النعم سيدنا الفاسه صلاتك له وسياكم وانا لانا
 رضاء الكفرون بقاء من بعد لم يرع الحسبي على قولي لافن او والسجالي
 نبي الله الفليس على من اللباني ولا يراعي ان الله اعلم الخ
 رجا ان صلاحه على من في كونه وياتوا انك ولعبدك
 في عني كبري وولي خاله ومعلمي والسفوحا مرفقه بملان
 بعيننا يتنوع وعده ارايه من زوارنا نبي يعقله وتره وونه
 في علمه اولادكم البار الحاضره الكايدو الخاوي على
 قطعانك وليفكاره فمنا برك من قده وسيد معد لكل
 فكب جسم كما انك اطلب من قبي يعاقب من ان تمد وننه
 ولا اعتماد على الله وعليك في الخ والبر والحق اطلبه جلاله
 ومع نواله ان يعلو بلكم ارضه اسكنه والخلوسه معكم في الخ
 من قبي يعلو بلكم ارضه اسكنه والخلوسه معكم في الخ
 والله يعلو بلكم ارضه اسكنه والخلوسه معكم في الخ
 بحاه سيد الكونسي والفضل من عبيدكم ويعيننا في كل
 نولك الداعي الخ
 حرره عبد القادر
 ويكون العنوان (النيابا لبرضاويه ههنا عننا
 للميم) انك من عبد القادر لمصطفى سوريور
 الخاوي

رسالة الأمير الهاشمي بن عبد القادر محي الدين يوصي الشيخ
أبناءه بخالد ومصطفى

رسالة اخوانية، جواب الحاج المقراني عرفانا بدور مؤازرة الشيخ
ويطلب منه الدعاء بالنصر الكريم أو الموت على حسن الخاتمة الخط
غير واضح الصادرة بتاريخ 24 ربيع الأول 1247هـ

COLLÈGE

DE

FRANCE

CHAIRE

D'HISTOIRE SOCIALE
DE L'ISLAM CONTEMPORAINباريس في السابع عشر من سبتمبر ١٩٦٥
كوليج دي فرانس

سيادة الشيخ مصطفى بن محمد القاسمي المحترم

وبعد ، فلقد استلمت بكل سرور رسالتكم المؤرخة في لعشرين من تموز وقرأت بكثير من الاهتمام والاستفادة ما احتوته من معلومات حول تأريخ معهد الهامل . ان تاريخ المجتمع المغربي يستطوع ان يستلم الكثير من الأحداث الواردة فيه بالاضافة الى الدرس المعنوي الذي يتلثنه أبناء جيلنا ، مسلمين ومسيحيين ، من رجال الفضل والحكمة الذين أوردتم مختصر ترجمة حياتهم .
فيما يتعلق بي ، إن تاريخ زاوية الهامل بهم تأريخ المغرب بأسره من حيث الجهور الذي بذلته بكل عزم حتى في زمن الاستعمار ، وذلك باستنهاض القيم الروحية والاجتماعية التي تقوم مقام ملجأ للناس .

انكم تذكرون بأن تأسيس الزاوية في سنة ١٨٦٦ يصادف قيام نهضة في العلوم والآداب في المغرب ولقد ذكرتم أسماء بعض رجالها الذين كانوا أصدقاء وتلامذة الشيخ السيد محمد بن أبي القاسم . حبذا لو استطعت الحصول على بعض التفاصيل حول هذه النقطة . وذلك لان في نفس هذا التاريخ بالذات ، ظهرت أيضاً في الشرق البعيد بوادر النهضة وخصوصاً في بيروت . هل ان هنالك روابط أدبية وثقافية بين معهدكم وبين المراكز الأخرى في الشرق أو الغرب ، فيما عدا الرحلات الناتجة عن السفر الى الحج ؟

انكم تنظفون بذكر عدد لا بأس به من المؤلفات من الترجمات أو غيرها ، منها ما قد طبع ونشر ومنها ما لم ينزل مع الأسف مخطوطاً لم يطبع بعد . هل ان في إمكانكم أن تنظفوا بعضها بإسطة أحد أصحاب المكتبات في الجزائر لكي تستطيع مكتبة معهدنا الفرنسي أن تقوم بشرائها منه بكل اعتزاز ؟
إذا ما تيسر لي ، في الحقيقة ، أن أحصل على وثائق ومصادر كافية وخصوصاً على مؤلفات في الفقه والتفسير أو الشعر لسمع لقارئها بأن يكون له فكرة عميقة عن الموضوع ، فعندئذ سأستطيع شخصياً أن أكرس دراسة خاصة بالزاوية أو تكليف أحد طلابي لاختازها موضوعاً لبعوثه الأكاديمية تحت إرشادي .

كل هذا يد لكم على ما أثارته قراءة رسالتكم في من انتباه واهتمام . تجدون طيه نسخة من مقال لاحد الفلاسفة المصريين الذي يعطيك فكرة عن كتابي الأخير . مع العلم بانني افترض بانكم قرأتم كتابي السابقين : "العرب من الأمس الى الغد" ، "المغرب بين حريين" وغيرها . أرسل الكتيب فيه كذلك دراسة حول الشيخ المراكشي اليوسفي . وفي الختام أرجو ان يستمر هذا التبادل الفكري العالمي فيما بيننا وأرجوكم أن تنظفوا بقبول تفضائي الطيبة وأصدق التحيات .
جاك بيرك

رسالة جاك برك المؤرخة في 1960/11/17

يقول جاك بارك في رسالة بعثها لشيخ الزاوية سيدي مصطفى اعترافاً على ما قامت به الزاوية القاسيمية من دفع عجلة نهضة القيم الروحية والاجتماعية وهذا مقطع منها: "إن تاريخ المجتمع المغربي يستطيع أن يستلهم الكثير من الأحداث الواردة فيه ،بالإضافة إلى الدرس المعنوي الذي يتلفنه أبناء جيلنا مسلمين ومسيحيين من رجال الفضل والحكمة الذين أوردت م مختصر ترجمة حياتهم . فينا يتعلق بي ، إن تاريخ زاوية الهامل يهم تاريخ المغرب بأسره من حيث المجهود الذي بذلته بكل عزم حتى في زمن الاستعمار ، وذلك باستنهاض القيم الروحية والاجتماعية التي تقوم مقام ملجأ للناس .إنكم تذكرون بأن تأسيس الزاوية 1866 يصادف قيام نهضة في العلوم والآداب في المغرب ،ولقد ذكرتم أسماء بعض رجالها الذين كانوا أصدقاء وتلامذة الشيخ السيد محمد بن أبي بلقاسم .

حبذا لو استطعت الحصول على بعض التفاصيل حول هذه النقطة .وذلك لأن في نفس التاريخ بالذات ، ظهرت أيضا في المشرق البعيد بوادر النهضة وخصوصا في بيروت .هل أن هناك روابط أدبية وثقافية بين معهدكم وبين المراكز الأخرى في الشرق أو الغرب ، فيما عدا الرحلات الناتجة عن السفر إلى الحج ؟

وبخصوص المخطوطات يقول جاك بارك في رسالته المؤرخة في 1960/11/27: أنكم تفضلون يذكر عدد لا بأس به من المؤلفات من الترجمات أو غيرها. منها ما قد طبع ونشر ومنها ما يزل مع الأسف مخطوطا لم يطبع بعد. هل إن في إمكانكم أن تفضلوا بجمعها بواسطة أحد أصحاب المكتبات في الجزائر ، لكي تستطيع مكتبة معهدنا الفرنسي أن تقوم بشرائها منه بكل اعتزاز ؟

الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى


AHMED TOUFIK MADANI
 1, IMPASSE BERBRUGGER, 1
ALGER
 ٢١٠٦-٢١٠٦ تليفون 20626 Teleph.

الجزائر ٨ تمسجات ١٣٥٥
Alger, le

الى حفرة العالم الا مثل المفضل الاجاز منيها من
 السداد است وشار العالم بصفحة العشرم كبريد صحتي
 القاصية رتبص جامعة الموالا بالقدر الحز انما من منسب الموالا . (السلام عليكم) ورفقة
 الاعد وبركاتة . اما بعد . لقد كان راسلكم انتموكم حفرة الاستاذ الشيخ محمد البشير الابراهيم
 باسمه الكامن وباسم اخوانه الذين ربطتهم جامعة العمل حول الاضفة الفلسطينية
 المقدسة المستأج السادة اللبيب العفني ، واهلهم بيوتهم والاعتناء بما من فرحات .
 ان تغفر نكو من حياة بلما من السادة المذكورين ومما حفر نكم . الاشراف فلم سائر ما يجب
 ان تقدم به الامة . بين دائرة الحركات والقانون ايماننا لاهواتنا العرب الاخر لغوصنا
 مواجيب السكاد . ارض فلسطين . ولقد علمت الساسة من صاحب العفنة المحترم
 حفرة الخلف الشيخ محمد من الموالا . ان الرسالة المذكورة التي وجهت الي حفر نكم
 بعنوان محمد الكامل يسو سعادة لم تصل اليكم حتى هذه الساسة . ومان الوقت
 ضايق . ووجب ابتداء العمل . فقد رأيت ان ابادر بصفتي من اللجنة التنفيذية
 لهيئة فلسطين ان ارسلك بسند الاضفة . اعلم انكم بما نفع . وكلها منكم ان
 ان روكا الما ركة . من اخوانكم العالمين . حتى يجتمع الشمل اليوم حول

وثيقة مرسلة من توفيق المدني إلى شيخ الزاوية خاصة لجمع الأموال

لفلسطين

Belgacem Cherif

Gafsa, le 19

CHEIKH
DES CONFRERIES KADRIA
GAFFA (TUNISIE)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

TÉLÉPHONE 16

الحمد لله تعالى وحده والصلوة والسلام على من لا نبي بعده من قبضه في رجبه

انا احسن ما يهدي الى مآلت انزلة الشرف والصلاح وقطر المجد والسياد فاج سلاله آل بيت النبوة والرسالة
وطر رحمة الهامة والجلالة من تزيك بوجوده الايام وخلق عليها ملابس العز والاقدم الحلال في مكان من السيادة
يقصر بعده طرفي يديه ويتضائل يديه وينتفدي كاله مقفنه وبتمنى البدر المنير لوشرفه فيه رجل المرؤفة
والانسانية والوفى سيدنا الشيخ الاجل الامجد مصطفى ابن المغفوره للبرور سيد محمد بن الحاج

القاسم ادام الله كلاله وافا من ليلى من بكاته اعلان
السلام اعطين الورد نشيا والهج من الورد زهرا يقضح الكون رجه ويغيب الغيب ويغيبه وصوبه
ثم ان اضل واقدم في ذلك القام بكل خضوع واحترام سائل عنكم ما طلت شمس وغاب امس واما
لكم في خالوق عقب مكتوب في بولوعكم جميع المقاصد زخارف على عدد وحاسد ثم ان الذي وقع على اعقابكم
من العذر من البعيد والاشتبك وتبدد المال من القسطنطينة او لاوتانيا وكيف صبح ذلك الانسبكم اما نيا
وما عا ما نية ما يفتخ في الشئ البشير ووقعه في عمل تكبر اشهر من ان اذكرو والفقه واسطرة وها
انا في حالة يرثي لها في تونس انقلب بين يدي المحدث انظر لطفنا من الله يحدث في
فان رأيتنا هي من سيادته الى مكان الذي لم يحوه احد
ان يقضي شيئا من مكارمه وبغى علي العدى من اجله احد
فالتس نفوضا وهي نازحة والسبب تروى ومن اوفنا بالهد

وساعد في الامر الذي وطني مرد اجميلا وكان ذلك خيلا فضل وما ذلك بعيد من غدي في سداه
علا والاختيارت مسلا فان نشأ الله على انشأتني من حال الجن وابعادني وبين مصائب الاز من
وجعل سيدي لخاير بابا وقلب لي ايجابا انه على ايشاء قدير وبالأجابة حيدر ومسك لختام
قبولكم وسيدي عبد القادر وسيدي المك وجميع من يلون بنا ربيكم السعيد فائق الاحرار
من طردع المنع الفلاسسي مسوقكم الحسنة مسلما عليكم واعداءكم
وملا فركه ببناء لكم من مكرر الكثرة صروف وفردر هزنا فغمة وصدور
مشا بريني بتعريفه وعبر على ذلك سلا من تعبي كذب بظلم
عمرى الذي غفنه امان

وثيقة من بلقاسم الشريف مفتى قفصة .

محمد الباقر بن عشا شور الحوند

صلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم

حفظه المولى الكريم الفضال شوقاً لهذا الكمال والقدوة فيها
 صالحاً الى محال سبل السنين وقد عهد الغلامين اداء الله
 عزه وبركته بعد سلام كرم عمهم بقدرة بناه فكتبوا بكم علينا
 بخلة الا قبله و بعد هذا عما جئنا بكم بناه مع الاعتناء والشي
 تسافر جئنا بكم هذا الا لسان وكذلك فيم الوالد قد عول بعقلنا
 بعول البغاة ودوام العاجلة وان يسبغ الله الذممة بوجهكم
 على هذا الاضغاج المنزلة كمال السبغها بدأ بكم مع قبل
 وان يبينكم نرة لعينها المحبب وعنارا للمساكين والمهتدين
 بحوله تسلم وهنته والسلام
 من المعنوز لمحببتكم وولائكم

عبد الله بن عشا شور

. رسالة موجهة إلى سيدي مصطفى شيخ الزاوية من ابن عشا شور .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

جمعية الهداية الإسلامية
المركز العام - بالقاهرة

٢ شارع قولة - ميدان عابدين بمصر
تليفون ٥٣١٨٩

القاهرة في ٧ مارس سنة ١٩٣٨

حضرة مهاجرتك الفاضلة الماجد لطيف الدكتور الشيخ سيد مصطفى بن محمد
شيخ زاوية الرمال حفظه الله

السلام عليكم ورحمة الله

أما بعد فقد وصلنا على طريقه حضرة الفاضل الشيخ محمد العربي بن محمد خليفة
تعمونه فزنا فتم استدادك وفضيلتكم والرائد على بصيرة شيخ منكم للجمعية
فأقدم لفضيلتكم ضيف الشكر على هذه العالقة الشريفة وبصلاكم صحة
هذا ورقة تبسم المبلغ ، ونرجو من الله تعالى أنه يوفقنا جميعا لما فيه
خير السلام والسليمة ، ولا أنسى ان زرت زاويتكم المباركة منذ شيف
منذ شيفه ولقيت يوسن رئيس الزاوية حضرة العالم الفاضل المرحوم
الشيخ السيد محمد بن محمد ، وحضرة العالم الجليل المرحوم الشيخ محمد بن عبد الرحمن
وأقمت معهما نحو خمس ساعات قضيناها من انس وشكرات علمية
ثم مدت اليه ابره عاده رحم الله لطف وبارك في الخلف ودقم في
حفظ الله وتأييده والسلام عليكم ورحمة الله

رئيس جمعية الهداية الإسلامية
دكتور محمد بن محمد
محمد حسين